
فهد القحطاني
الإسلام
والوثنية السعودية
أبو عبدو البغل
https://facebook.com/groups/abuab/
تصوير أبو محمد
تنسيق جمال حتمل



أسم الكتاب : الاسلام والوثنية السعودية
المؤلف : فهد القحطاني
الناشر : منظمة الثورة الاسلامية في الجزيرة العربية
الطبعة : الثانية ١٤٠٦هـ
عدد النسخ : ٣٠٠٠ نسخة
الثمن : ١٢ ريالا (سعودياً)



بسم الله الرحمن الرحيم

انفِرُوا خِفافاً وَثِقالا وجاهِدوا بأموالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ في سَبيلِ الله ذلِكُمْ خَيْرٌ لكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمونْ *

صدق الله العظيم

الفهرس

المقدمة :

توصلت جماهير الأمة الاسلامية ــ اليوم ــ إلى قناعة مفادها أن النظام السعودي لا يختلف عن غيره من الأنظمة العربية من حيث الجوهر والمحتوى ، وإن كان المظهر الخارجي والديكور مختلفاً ..

فكما أن بعض الدول تطلي نفسها بماكياج الثورية والجماهيرية .. والأخرى تبرز نفسها بالديمقراطية والانفتاح .. والثالثة بالتحرر والاستقلال ، كذلك النظام السعودي يطرح نفسه بصبغة الاسلام .. ويرفع شعارات الالتزام والمبدئية ، وإن كانت في الحقيقة لا تزيد عن الهراء ، كالذي ترده الأنظمة الأخرى .

إن التمايز بين النظام السعودي والأنظمة العربية الأخرى ، لا يزيد عن تمايز أحدهما عن الآخر ، فالجميع يسير ببلاد المسلمين وشعوبها في نهج تغريبي علماني بعيد عن الأصالة الاسلامية ، ومواقفهم السياسية تكاد تكون متشابهة تجاه القضايا التي تشغل بال المسلمين .. وخصوصاً تجاه قضية فلسطين ، لهذا لم تعد الشعوب الاسلامية تفرق بين مدّعي الثورية والنضال .. ومدعي الاعتدال والواقعية ، أو بين من يحمل لواء القصر الأبيض .. أو قصر الكرملين ..

ومن الناحية الواقعية .. ليس هناك فرق بين النظام السعودي والأنظمة الأخرى ، سوى في الدهون والطلاءات لا أكثر .. وادعاءات أقطاب النظام بطرح سياستهم وبلدهم بتميز عن الآخرين .. والتأكيد على ذلك من خلال الأجهزة الاعلامية المحلية ، يفتقد الواقعية والصدق ..

وحتى القشور الدينية التي كان النظام يطبقها ويخدع بها الكثيرين من أبناء الأمة ، على أنه النظام الوحيد المتمسك بالاسلام كعقيدة وشريعة ، لم تجد لها من يصدقها إلا القليل ..

في هذه الدراسة المتواضعة .. تبيان للمسيرة الاسلامية « المزعومة » للدولة السعودية .. منذ تأسيسها ، وكيف أنها قامت على أساس من النفاق الديني ، من خلال استعراض دوافع الحروب التي شنّها السعوديون في احتلال المناطق الأخرى من أجل تكوين دولتهم .. ومن خلال المواقف السياسية التي رافقت التأسيس ، كالموقف من دولة الخلافة العثمانية .. ومن الانجليز ..

نرجو من الله سبحانه وتعالى .. أن تحقق هذه الدراسة ، الهدف المتوخى منها .. في فضح النظام السعودي المنافق ، والمعادي للاسلام ..

منظمة الثورة الاسلامية
في الجزيرة العربية

٢٥ رمضان ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م

طلاب الملك :

يمكننا تقسيم المراحل التي مرّت بها صياغة الأطروحة الاسلامية السعودية في الدولة السعودية الثالثة إلى ثلاث مراحل .. فنحن نعتقد بأن الظروف السياسية والدينية التي عاصرها عبد العزيز، أملت عليه في حقبة من الزمن أن يرفع شعار الاسلام ، و يتبناه في معاركه وفتوحاته ، ولم يكن تبنيه نابعاً من إيمان صادق كما يدعي و يدعي مؤرخوه ..

هذه المراحل هي :

المرحلة الأولى : وتمتد منذ ولادة عبد العزيز عام ١٨٨٦م/١٢٩٣هـ ، وتنتهي عام ١٩١٥م ، وهي المرحلة التي لم يرفع فيها أي شعار ديني ، ولم يكن عبد العزيز ملتزماً حتى في مسلكه الشخصي ضمن الأطر الشرعية ..

المرحلة الثانية : وتمتد منذ عام ١٩١٥م ، وهو تاريخ احتوائه الحركة الاخوانية الدينية وتقمصه لشعاراتها ، للاستفادة منها في حروبه العسكرية ، وحتى عام ١٩٣٠م ، وهو تاريخ القضاء على الحركة ..

المرحلة الثالثة : وتبدأ من ١٩٣٠م حتى الآن ، وهي المرحلة التي ابتعد فيها الحكم السعودي عن الدين شيئاً فشيئاً ، حتى أضحى الوضع

فاسداً كما نعهده الآن .

وما يهمنا هنا هو المرحلة الأولى والثانية التي تبرز فيهما ـ وبوضوح ـ مطامع عبد العزيز للحكم ، دون الاكتراث بالدين ..

إن الصفة الرئيسية التي تجمع الحكام السعوديين ، على اختلاف أزمانهم وعهودهم ، هي أنهم طلاب ملك وليسوا حملة رسالة ، فهم يدّعون حمل رسالة الاسلام كلما وجدوا فيها مصلحة تهمهم وتقوي عروشهم ..

ولم يعهد عن أحد من الحكام أنه كان حامل رسالة وداعية إلى الله في يوم ما .. ولم يكن يفرق بينهم وبين الحكام الآخرين من حيث الالتزام الديني والمسلك الشخصي ، منذ استلابهم الحكم ، وحتى يومنا هذا .. ولنا في سيرة ملكهم الحالي « فهد » وأمرائهم الحاليين ، أصدق الشواهد وأقطع البراهين .

بيد أنهم لا يكفون عن التبجح من خلال أجهزة إعلامهم الدعائية ، بأن البيت السعودي حامل رسالة قبل الملك ، كما قال عبد العزيز وابنه فيصل من بعده .. وما نود إيضاحه هنا ـ ومن خلال نموذج واحد ـ هو عبد العزيز الذي أسس ملك آل سعود الحالي .. أن هم آل سعود ، الملك قبل كل شيء .. وأنهم طلاب ملك يرفعون شعار الاسلام لخدمة أغراضهم السياسية ، وهم بعيدون كل البعد عنه ..

المرحلة الأولى :

عهد الصبا :

ولد عبد العزيز في الرياض عام ١٢٩٣هـ ، وعايش المرحلة الأخيرة من دولة أسرته قبل أن تزول ، في هذه الفترة لم يكن في نشأة ابن سعود أي فوارق بينه وبين أقرانه ، حتى في مجال الفروسية التي من المفترض أن يتيح له وضعه كأمير النبوغ فيها .. فلم يعهد منه أنه أتى بشيء أفضل من أقرانه ، والكتب التاريخية لا تتحدث عن هذا الجانب ، وأكثر ما تردده هو أنه من بيت عهد فيه الشجاعة والتضحية ، و.. و.. الخ ..

أما من الجانب الديني ، فقد عهد إلى أحد الشيوخ أن يعلمه أصول الدين كما تفعل بقية الأسر بأبنائها ، لكنه لم يكن مغرماً بالدراسة والمداومة في الحضور .. كما أن الوضع الخاص لأسرته لا يميل إلى التقيد بالدين ، وقد وصف « الزركلي » أحد أعمام عبد العزيز « سعود الفيصل » بأنه كان متسامحاً في أمور الدين «١» .. كما أن صراع الأعمام على الحكم ـ بين عبد الله وسعود ـ لا ينم عن التزام ، فكيف يقتل الأخ أخاه أو عمه ؟ .. فمن يتهاون في القتل هان عليه التساهل في بقية الجوانب .. وهذا الأمر أثر على ابن سعود ـ الملك عبد العزيز ـ في الجانب السياسي ، فقد خلف الصراع بصماته الواضحة على تفكيره ، وكان كثيراً ما يكرر ، بعد أن استتب له الحكم ، أن الخلاف بين آل سعود هو سبب زوال ملكهم ..

ولو نظرنا إلى الجو العام السائد في نجد ، فانه يتسم بالمحافظة التي

شملت جميع السكان ، رغم القلاقل السياسية المستمرة ، ولم يعطه صفة متميزة عن الآخرين في الجانب الديني ، فالفارق يكمن فقط في انتمائه لأسرة كانت تحكم نجد ..

حاله في الكويت :

بطبيعة الحال ، لم تكن الكويت كنجد ، فالأخيرة كانت معقلا للتزمت الوهابي ، لازالت آثاره المحافظة آنذاك ، ترخي بسدولها على الوضع الاجتماعي والديني والثقافي ، كما أن نجد ـــ وبحكم موقعها الجغرافي ـــ منطقة بعيدة عن التيارات والتأثرات الخارجية .. بينما كانت الكويت مفتوحة على العراق وإيران والهند وغيرها .. لذا لم يكن لتقاس محافظة أهالي الكويت يومها مع أهالي نجد .

وقد أكد المؤرخون السعوديون ، أن الاستفادة الحقيقية لابن سعود خلال العشر سنوات التي قضاها في الكويت « ١٣٠٩ ـــ ١٣١٩هـ » تكمن في تفهمه لبعض الألاعيب والحيل السياسية ، والتي اكتسبها من خلال مجالسته هو وأبيه ، لحاكم الكويت مبارك الصباح ، المشهور بارتباطه الصارخ مع الانجليز ، وبتحلله وفساد أخلاقه ..

ولم يتطرق المؤرخون لأي تأثير ديني عليه خلال وجوده في الكويت ، خصوصاً وهو حينها كان يمر بمرحلة المراهقة .. ومن المؤكد أنه لم يكن يفكر في غير الملك واستلام الحكم ، ولم يدر بخلده ، مسألة الاسلام ، والرسالة وحملها .

بل إن أجواء الكويت ، وقربه من أميرها الفاسد ، ساعده على التحلل من الدين ، ولم يشتهر عنه أنه كان متمسكاً حتى بأساسيات الدين .. وهناك شواهد كثيرة سطرتها كتب المعارضة عن هذه الحالة الشاذة التي

كان يعيشها ، إلا أننا نكتفي بشاهد واحد نقله « كشك » عن « جون فيلبي » العميل البريطاني المعروف ورفيق ابن سعود لمدة ثلاثة عقود تقريباً .. و « كشك » الذي حاول في كتابه أن يطرح ابن سعود كصاحب رسالة في كل ما ذكر، يصف حاله في الكويت بالقول :

(كان يتمتع بفحولة لم تعرف لرجل من قبله ولا بعده ، ولكنها لم تشغله عن الملك ، بل لعلها كانت إحدى الوسائل الفعالة لتثبيت هذا الملك «٢» ، ولا استطاعت أن تفرض نفسها على سلوكه ومواقفه ، ووعيه الشديد بمسئوليته كطالب ملك ، ثم صاحب رسالة ، ومؤسس دولة «٣» .

قيل أنه عندما راهق في الكويت ، سمع أن بعض أصدقائه يستفيدون من الجو الخاص في الكويت ، بتصريف الكبت الجنسي مع بعض الفتيات ، فأراد مشاركتهم ، ولكن صديقاً واعياً بمسئوليات الملك منعه بشده ، فاستغرب عبد العزيز ذلك ، وقال له : « ولماذا تفعل أنت ذلك إذا كنت تراه معيباً ؟! » .

فرد ذلك الصديق النادر : « هولا يعيبني .. ولكن أنت عبد العزيز آل سعود .. أنت طالب ملك .. لا يجوز لك يا عبد العزيز ما يجوز لنا .. ») «٤» ..

من خلال المقطع السابق ، يتوضح لنا هم عبد العزيز الأول وهو طلب الملك ، وأن أصدقاءه هم من المدمنين على ممارسة المحرم والعياذ بالله ، وأن التزامه بالدين ضعيف جداً ومختل ، ثم أن ما يمنعه هو كونه طالب ملك ، وليس حامل رسالة ، عليه أن يلتزم بها .. وهو الأمر الذي لم يحدث بالفعل ..

و يدرس السعوديون تاريخهم لطلابنا على أن عبد العزيز تعلم السياسة من مبارك الصباح ، الذي يصفونه بالدهاء السياسي حتى يشمل عبد العزيز جزء منه ، بينما لم يتحدثوا عن تأثير صلاته معه من الناحية الأخلاقية ..

فالأستاذ ، لابد وأن ينقل لتلميذه بعضاً من فنونه وجنونه ..

يقول مؤرخ الكويت عن مبارك «٥» :

(جاهر في آخر أيامه بترك الشعائر الدينية والتساهل بالصلاة والصيام ، ومال إلى اللهو والقصف والتهتك والخلاعه ، فاستقدم الراقصات من مصر وسوريا ، وأقام لهن المسارح في قصوره الشاهقة وانغمس في هذا الأمر انغماساً عظيماً) ..

وهنا ينفي جلال كشك تأثر ابن سعود السلبي بأجواء الكويت وقصور مبارك ، و يرد على الزاعمين بذلك في قوله : (هذا هو المناخ الذي أمضى ابن سعود فيه صدر شبابه ، وسنوات تكوينه النفسي والخلقي ، والتي يزعم بعض المؤرخين أن هذا الجو كان مدرسة له ، إن صح ذلك .. فبمفهوم المخالفة) «٦» ، بينما يرى المؤرخون الآخرون عكس ذلك تماماً ..

ومهما يكن من أمر ، فان حالة عبد العزيز في الكويت أثبتت أنه ذو نزعة سلطوية ، و يسعى لايجاد حكم له من منطلق قبلي ، ولم يكن يفكر في يوم ما أنه أكثر من أي فرد طامع للسلطان ، لا يمت إلى الدين بصلة من قريب أو بعيد .

احتلال الرياض « المحاولة الأولى » :

حين خرج عبد الرحمن والد عبد العزيز فاراً من الرياض ، حاول وهو في طريقه أن يستنجد بالقبائل القاطنة في شرق الجزيرة العربية ، لكنه لم يلق أذناً صاغية لحرب آل الرشيد .. فالقبائل هذه ، لها تاريخ مأساوي حين دخلت في حروب أولاد فيصل بن تركي ، وخصوصاً قبيلة العجمان التي دعمت سعود بن فيصل « أخو عبد الرحمن » ضد أخيه عبد الله ، فكانت النتيجة أن قدمت الضحايا قرباناً لشهوات الأمراء السعوديين في

الحكم ، ووجدوا أنفسهم ـ في وقت متأخر ـ يدخلون حروباً تأكل الأخضر واليابس ، تكون نتيجتها أن يصعد أحدهم على أكتافهم و يفعل بهم الأفاعيل كما فعل أسلافه .

استقر عبد الرحمن في الكويت ، وفقد الأمل والعزيمة في السيطرة على الرياض ، ومكث هناك سنين طويلة يستجدي فيها عامل الدولة العثمانية في العراق بعض الروبيات ، كي يقتات منها هو وعياله ، حيث لم يعمل هو وأبناؤه في حرفة تدر عليهم رزقهم ، لأنهم يعتبرون أنفسهم أكبر من ذلك .. ومع أن المساعدة التركية لم تكن لتفي باحتياجاتهم ، فقد كان لسيطرة مبارك الصباح على الحكم في الكويت بعد قتل أخويه محمد وجراح عام ١٣١٣هـ ، أثر كبير في تحسين وضعهم المعيشي ، فابن الصباح الحاكم الجديد قلب ظهر المجن للأتراك ، وارتمى علانية في أحضان الانجليز ، بل إن الانجليز هم الذين دفعوه للسيطرة على الكويت ، لأن إخوته يميلون إلى الأتراك .. ومن هنا كان لعداء مبارك للأتراك دور في تقريب آل سعود إليه ، وهم الذين انتهى حكمهم على يد حليفهم ابن الرشيد ..

إضافة إلى ذلك ، كانت طموحات مبارك في أواسط الجزيرة العربية تدعوه للاهتمام بالأسرة السعودية ليستفيد منها ، كغطاء لاحتلالاته ومركباً لطموحاته .

لم يمض الوقت طويلا حتى استعد مبارك لمحاربة ابن الرشيد ، وجيش جيشاً كبيراً من القبائل والعربان للحرب ، وأخذ معه كلا من عبدالرحمن وابنه عبد العزيز كوجوه وشخصيات في جيشه ، وقد انفصل عبد العزيز عن الجيش بألف مقاتل ليحتل الرياض التي كانت أمنيته الوحيدة آنذاك ، والتقى الجيشان في موقعة الصريف في ذي القعدة ١٣١٨هـ/مارس ١٩٠١م ، هزم فيها الكويتيون هزيمة منكرة وارتدوا على أعقابهم لا يلوون على شيء ، وأخذت قوات ابن الرشيد تتبعهم ولم يوقفها إلا المدافع

-البريطانية التي أنزلت في الكويت بطلب من مبارك ..

أما ابن سعود الذي انفصل عن الجيش الرئيسي ، فاتجه جنوباً وهاجم فريقاً من قبيلة قحطان كان في روضة سدير ، وقتل زعيمه « نزهان بن مريحة » ثم هاجم فريقاً آخر من قحطان كان بزعامة « فيصل بن حشر آل عاصم «٧» » .. وليس هناك أي مبرر ومسوغ ديني لهذا الهجوم ، فهولا يتعدى في أهدافه هجوم أي قبيلة على أخرى من أجل سلبها والاستحواذ على مالها .

بعدها وصل إلى الرياض ، فقاومته مقاومة شديدة ، وكان في طليعة المدافعين رجال الدين وآل الشيخ ، لأنهم وجدوه آلة في يد الكفار الانجليز وعميلهم مبارك ، ولم تكن حملته مقبولة دينياً ووطنياً ، وليس صحيحاً أنه لم يلق مقاومة ، وأنه دخلها برجاله وأهل الرياض تواقون لرؤيته لتبرمهم من الحكم الرشيدي .

فمن الواضح من خلال حملة ابن سعود المجردة من الدوافع الدينية والوطنية ، أنها قوبلت بدفاع الأهالي وشخصيات الرياض ، وكان الناس ملتفين حول الأمير ابن عجلان ، الذي ــ باعتراف مؤرخي آل سعود ــ لم يشتهر عنه العسف ، وكان ابن الرشيد ذاته محبوباً لدى علماء نجد وأهلها لحسن سيرته ، رغم أن هناك بعض الموالين لآل سعود الذين يتمنون أن يرجعوا للحكم و يكونوا من خواصهم ..

(وكان ابن سعود في أيام ملكه ، وعندما يسرف أهل الرياض في مطالبهم ، يصرخ فيهم « كسرتم إصبعي يا أهل الرياض في قتالكم ، فلا منة لكم علي » «٨» مشيراً إلى مقاومتهم العنيفة في تلك الغزوة ، و يقول فيلبي « إن عبد العزيز اقتحم فعلا أسوار الرياض ، ولكن أهلها التفوا حول أميرهم ، وقاتلوا قتال المستميت ، حتى كسر أصبع عبد العزيز » .. وكان وجوه المدينة في مقدمة المقاتلين ضد عبد العزيز ، فقد قاتل الشيخ محمد بن

عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ببطولة و بسالة جعلت « عجلان » يهديه فرساً بعد انتهاء المعركة ، وجرح الشيخ محمد في يده ، كما أصيب أيضاً عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ بجرح في رقبته من قبل جنود عبد العزيز آل سعود ، وهو يقاتل ضدهم ليصدهم عن غزو المدينة ، كذلك كان الشيخ عبد الملك بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ على رأس أهل الرياض في جيش ابن رشيد ضد ابن صباح .

وهذه المقاومة الشديدة من أهل الرياض جعلت عبد العزيز عاجزا عن الاستيلاء عليها أربعين يوماً ..

وتفسير مقاومة أهل الرياض بسيط جداً ، فما كانت الرياض ، وشيوخ الوهابية ، ليستسلموا لذلك القادم من قبل ابن صباح ، لا وطنياً ولا قبلياً ولا دينياً ، كان من الممكن أن تفتح الرياض باسم ابن صباح أو بتجريدة من حملة ابن صباح .. فلم يكن ابن سعود أمام الرياض عام ١٩٠١م/١٣١٩هـ أكثر من طليعة من طلائع جيش الكويت الذي يقوده ابن صباح) «٩» .. و يعلق كشك في الحاشية بأن سمعة ابن صباح الوطنية والدينية كانت تجعل مقاومة حملته وكل من ينتسب لها فرضاً واجباً ..

لقد كانت مواجهة آل الشيخ لحملة ابن سعود على الرياض عام ١٩٠١ بالسلاح فريدة من نوعها ، هذا الاصطدام يؤكد أن عبد العزيز حتى هذه الفترة لم يكن يحمل هدفاً دينياً في غزواته ، وكان أداة في يد ابن الصباح الفاسد وأسياده الانجليز ..

وهكذا بعد هزيمة والده وابن الصباح في (الصريف) ، ترك الرياض بمجرد أن وصله الخبر ، وعاد إلى الكويت قبل أن تسقط حامية أمير ابن الرشيد في الرياض .

احتلال الرياض للمرة الثانية ١٩٠٢م :

كان سقوط الرياض واحتلال ابن سعود لها وقتل ابن عجلان عام ١٩٠٢م/١٣١٩هـ ، بداية جديدة في التاريخ السعودي ، من حيث استعادة الحكم .. وليس بعث الرسالة التي يدعون حملها للناس ..

وهناك العديد من الملاحظات حول هذا الاحتلال :

الأولى : أن الطريقة التي تم بها الاحتلال والسيطرة لا تنبيء عن التزام وتدين .

الثانية : أن الاحتلال لم يكن لأجل إعادة ما طمس من معالم الدين ، وإنما بدافع التسلط فحسب .

الثالثة : أن هذا الاحتلال لا يختلف عن السطو ، فهو مجرد انقلاب عسكري تم في ليلة ظلماء من ليالي يناير ١٩٠٢ ، ولم تكن هناك ميزة دينية تفرق بين ابن عجلان و بين ابن سعود .. وطريقة الحكم للرجلين لا تختلفان إلا في زيادة بطش الأخير وإرهابه .

لقد تسلق عبد العزيز وأتباعه الأربعون أو الستون ، الرياض ليلا في الخامس عشر من يناير ١٩٠٢م ، وطرق ابن سعود باب بيت مجاور لقصر ابن عجلان ، وكان ساكنه شخص يدعى جويسر ، وهو بائع بقر ، فأجابته إحدى النساء من خلف الباب عن طلبته ، فأجاب أنه يريد من زوجها شراء بقر للأمير في صباح الغد .. فرفضت المرأة فتح الباب وقالت له بأنه لا يطرق باب النساء في الليل إلا فاسد ، فهددها ابن سعود بأن انتقام ابن عجلان من زوجها سيكون شديداً ..

فخرج جويسر ــ الذي هو أحد خدام آل سعود أيام عزهم ــ وفتح الباب ، فأمسكه ابن سعود بيده وهدده بالموت إن لم يصمت ، ثم أمر أتباعه بالدخول ، فتعالت صيحات النساء حين عرفن الطارق : « عمنا عبد العزيز » ..

ثم جمعهن عبد العزيز في غرفة خوفاً منهن وأغلق عليهن بابها ..

بعدها تسلق هو وأتباعه البيت المجاور للوصول إلى القصر ، فوجد شخصين نائمين ، فلفهما هو وأتباعه بالفراش ، وحملوهما إلى غرفة صغيرة وأقفلوا عليهما الباب ..

ومن البيت الثاني تسلق إلى القصر كي يقتلوا ابن عجلان .. فما وجدوا إلا زوجته « لؤلؤة بنت ابن حماد » وأختها نائمتين .. وفي حالة كهذه ، وكز عبد العزيز المرأة فنهضت مذعورة .. و يتحدث ابن سعود لمستشاره فؤاد حمزة عن هذه الحالة بالقول :

(وكزت الحرمة فنهضت ، فلما رأتني صرخت .. من أنت ؟ فقلت أنا بس ، أنا عبد العزيز ، أما هي فكانت تعرفني وأبوها وعمها خدام لنا ، وهي من أهل الرياض ، قالت .. ماذا تريد ؟ .. قلت ، أدوّر راجلك يا فاجرة يالّي تاخذين شمر «١٠» ، قالت .. أنا غير فاجرة ، أنت و يش جايبك ؟ .. فقلت : أنا جيت أدور راجلك لأقتله ، قالت .. أما زوجي فلا ودي تقتله ، وأما ابن رشيد وشمر فودي تقتلهم جميع ، ولكن كيف تقدر على زوجي ؟ .. زوجي محصن في القصر ومعه ٨٠ رجل ويمكن لو طلع عليك أخاف ما تقدرون تنجوا بأرواحكم وتخرجوا من البلاد ، تكلمت عليها وسألتها عن وقت خروج زوجها من الحصن ، قالت .. أنه ما يخرج إلا بعد ارتفاع الشمس بثلاثة أرماح .. أخذناها وصكينا عليها مع الخدم ، ثم أحدثنا فتحة بيننا و بين الدار التي فيها أخي محمد ، ودخلوا علينا ..) «١١»

وتكملة قصة قتل ابن عجلان معروفة لاتحتاج إلى تكرار ..

والمهم فيها هو هذا التعدي على النساء والسيطرة على بيوت الآخرين ، الذي لا يقره شرع ودين ..

إن الاسلام لا يقر ذلك ، حتى ولو كان الهدف نظيفاً ، فكيف إذا كان الهدف غير شريف ؟

فلا شرعية للأساليب الباطلة التي توصل إلى غاية صحيحة أو باطلة ، فالاسلام يتعارض مع مقولة الغاية تبرر الوسيلة .. مع هذا فان أسلوب عبد العزيز هذا يهدينا إلى أن هدفه وأسلوبه يتنافى مع الاسلام وتعاليمه ..

وإذا كان « كشك » يدعي بأن (الصراع على السلطة أمر مسلم به ومقبول في شريعة الصحراء ، وسعي صاحب الحق الشرعي لاسترداد حقه من السلطان المغتصب سلوك مشروع ، بل واجب محتوم ، يلام من يقصر فيه أو يتنازل عنه) «١٢» فان هذا المنطق غير مقبول من الناحية الشرعية الدينية ، فليس كل طالب سلطة وملك يحق له أن يفعل ما يريد خضوعاً للقيم الجاهلية وسبيلا للوصول للحكم ..

إن الاسلام لا يعترف بحكومة الأمر الواقع المفروضة بالقوة ، كما لا يعترف بأي حاكم ينزو على السلطة بالقوة ، و يطالب المسلمين بالنهوض في وجهه ، حتى لا يتجرأ ذوو النزعات الآثمة على إزالة الحكم الشرعي وفرض تسلطهم بالسيف ..

لقد كان مبرر انقلاب عبد العزيز على حاكم الرياض « كما يقول هو » استعادة ملك الآباء والأجداد .. فلم يكن مبرر قيامه بالانقلاب ، المصلحة العامة .. أو إعادة تحكيم الشريعة الغراء ، وإنما كان طُلب السلطة وحب الرئاسة ليس إلاّ ..

إن الاسلام لا يعترف بمقولة « ملك الآباء والأجداد » كمبرر للوصول للحكم ، وهو مبرر سخيف ، لأن الاسلام وضع شروطاً للحكم والحاكم ، ولأن العقل يرفض مثل هذا التبرير .. لأن كل شخص تنهب إمارته يمكنه طرح ذات الادعاء ..

إن النظام السعودي بني من أساسه على باطل ، وهو حب الرئاسة والسلطان ، ولا خير في نظام يشيّد على الباطل ، ولا خير في حاكم همّه

السلطة والرئاسة ، لأنه سيعلو في الأرض و يصبح من المفسدين ، وسيقف بوجه كل من يريد الصلاح والخير للأمة ..

يقول الشيخ ابن تيمية :

(الواجب اتخاذ الامارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله تعالى ، فان التقرب إليه فيها بطاعته ، وطاعة رسوله من أفضل القربات ، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها .. وقد روى كعب ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم ، بأفسد لها ، من حرص المرء على المال أو الشرف ، لدينه » «١٣»، قال الترمذي : حديث حسن صحيح . فأخبر أن حرص المرء على المال والرئاسة يفسد دينه ..)

و يضيف :

(وغاية مريد الرئاسة أن يكون كفرعون) ، ثم يقسم الشيخ الناس الى أربعة أقسام ، خص القسم الأول منهم بالقول : (القسم الأول : يريدون العلو على الناس ، والفساد في الأرض ، هو معصية الله ، وهؤلاء الملوك والرؤساء المفسدون كفرعون وحزبه ، وهؤلاء هم شرار الخلق) ..

قال الله تعالى : « **إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم و يستحي نساءهم إنه كان من المفسدين** » «١٤»

وذات مرة دخل أبو موسى الأشعري مع اثنين من أبناء عمومته على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أحدهما .. يا رسول الله ، أمّرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فأجابهما الرسول :

« **إنا والله لا نُولّي هذا العمل أحداً يسأله ، أو أحداً حرص عليه** » ــ أخرجه الشيخان عن أبي موسى الأشعري ــ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنكم ستحرصون على الامارة ، وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعمت المرضعةُ ، وبئست الفاطمة » أخرجه البخاري والنسائي .

وهناك أحاديث كثيرة تذم طلاب الولاية والسلطان بالسؤال ، فكيف يكون حال أولئك الذين أهدروا دماء المسلمين ليتسلطوا عليهم ، كما فعل عبد العزيز آل سعود وآباؤه وأجداده ؟

لقد أكد عدد من المؤرخين على أن الحملة السعودية لاحتلال الرياض ، التي قادها ابن سعود ، كانت مجردة من أهدافها الدينية .. إلا أن « جلال كشك » يعتقد بأن الوحي نزل على عبد العزيز فتبنى الاسلام والرسالة ..

(تقول بعض الدراسات الحديثة أن حملة ابن سعود هذه كانت بلا هدف ديني ، بل مجرد طلب ملك . وقد يكون هذا صحيحاً ، ولكن عبد العزيز سرعان ما اكتشف دوره الحقيقي) «١٥» .

و يقول الأستاذ « عبد الله بن خميس » الفائز بجائزة الدولة للأدب عام ١٤٠٤هـ ، في مجلة « الدارة ــ عدد يوليو ١٩٧٩م » بأن الفيلق الأول الذي فتح الرياض بقيادة عبد العزيز ، لم يقم على دعوة روحية ، ولم يكن الدافع الأول دافعاً دينياً .. ولكنه كان إرهاصاً بين يدي انتفاضة دينية و يقظة روحية قادت طلائعها كتائب الاخوان ..

والحقيقة أنها لم تكن إرهاصاً ، لأن حركة الاخوان لم تقم بعد ، وإنما قامت بين عامي ١٩١٢ ــ ١٩١٣م ، وأن أمر قيامها لم يرتبط بابن سعود من قريب أو بعيد .

في موقع آخر يحاول « كشك » «١٦» أن يعطي الاحتلال الشاذ ، صبغة دينية ، و يسبغ عليه أهدافاً سماوية ، رغم اعترافه السابق بأن الحملة كانت في الأساس ليست دينية .. (كانت الرياض فعلا على موعد مع التاريخ ، فالأمير القادم ليس مجرد أمير سعودي من أمراء فترة التناحر ، عندما تخلى البيت عن الرسالة ، وتصارع أفراده على الملك ، فضاع الملك كما

ضاعت الرسالة ، لأن هذا البيت بالذات ، لا يستقيم له ملك بلا رسالة ، لأن التاريخ لا يحب الخديعة ، وهذا البيت نال الملك باسم الرسالة ، فلا يجوز له أن يتخلى عن الرسالة و يستبقي الملك ، وقد تساقط كل الأمراء الذين تخلوا عن الرسالة ، واكتفوا بالامارة ، وانتهى بهم الحال إلى قبول الحماية والحكم بينهم من ابن رشيد ، عاملهم القديم ووارث ملكهم ، بل وصل بهم الأمر إلى قبول الدعم البريطاني ، أو الحماية التركية .. فضاعوا في التيه ٣٧ سنة ، تساقط فيها كل طلاب السلطة حتى خرجوا من الرياض ..) ثم يكمل قوله ، بأن عبد العزيز أتته الرسالة منقادة ، تجر إليه بأذيالها ، بعد أن سيطر على الرياض ، وكأن الرسالة تهب نفسها ، وليست التزاماً يجب تقمصه في المسلك الشخصي :

« كانت تتجمع في عبد العزيز كل الصفات المطلوبة لقائد ورجل تاريخ ، ولكنه بلا رسالة ، لم يكن أكثر من فتى في الثالثة والعشرين من عمره ، في قرية لا قيمة لها اقتصادياً وعسكرياً .. وعندما أصبح في الرياض عميداً للبيت السعودي ، تقمصته على الفور مسئوليات والتزامات الرسالة » ..

وقد استنتج محمد أسد منذ وقت مبكر أن (ابن سعود لم يكن أكثر من ملك ، يهدف إلى ما هو ليس أسمى وأرفع من أهداف الكثيرين من الحكام المطلقي السلطة من قبله في الشرق) ..

الاحتلال بدون الشعار الديني

في الفترة الواقعة بين احتلال الرياض واحتلال الأحساء « ١٩٠٢ — ١٩١٣م » لم يطرح ابن سعود أي غلاف ديني لتحركه ، وكانت احتلالاته مدفوعة « بعودة ملك الآباء والأجداد » وهذا الدافع سخيف حقاً ، ذلك أن كل رؤساء المناطق والمدن التي تحتل بامكانهم المطالبة بالتحرر من الاحتلال السعودي ، بحجة أن هذه الأرض ملك لآبائهم وأجدادهم أيضاً ، والسعوديون لم يكونوا ليسبقوهم لها ، فهم أصحاب البلاد من قبل أن يحتلوها منذ عقود من السنين ..

يتحدث « فيلبي » عن عبد العزيز وفتوحاته السابقة بأنها لم تكن مدفوعة بالدين ونشر العقيدة الاسلامية :

(فتاريخ أسرته جعل من الدين العنصر الأساسي لهذه الدولة ، ولا شك أنه وأباه كانا وهابيين صادقين مخلصين«١٧» ، إلا أنه في أوار القتال الضاري الذي دار في تلك السنين الخوالي ، يعوزنا أي تاريخ مسطور يدل على الناحية الدينية في عملياتهما الحربية) .

وفي الجانب السياسي ، لم يكن هناك أوجه اختلاف بينه وبين حكام الخليج الآخرين (خزعل ، وابن الصباح ، وأمير البحرين الشيخ عيسى آنذاك ، وكذلك أمير قطر ، وحاكم عمان) الذين كانوا يخضعون لسلطات الاحتلال البريطانية ، ويكنون العداء لدولة الخلافة العثمانية وعلى رأسها

السلطان عبد الحميد ..

فعبد العزيز ووالده عبد الرحمن كانا تواقين للتحالف مع الانجليز، وسنجد أنهما خلال هذه الفترة كانا صريحين في التعامل معهم، رغم أن الانجليز لم يبدوا أي تجاوب، لظروفهم السياسية المتعلقة بدولة الخلافة، والتي كانوا حريصين قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى في عدم التصادم معها لئلا يؤثر ذلك على وضعهم في الخليج.

قبل أن يغادر عبد الرحمن الكويت بناء على طلب ولده المحتل للرياض حديثاً، أرسل رسالة للمقيم البريطاني في بوشهر، يخبره بأن الروس اتصلوا به، وعرضوا عونهم وخدماتهم عليه، لكنه وحباً في بريطانيا العظمى، رأى أن يخبر أصدقاءه و يطلب منهم الدعم:

(و بعد نجاح الأمير السعودي في استرداد الرياض، غادر أبوه الكويت ليلتحق به، وقبيل مغادرته الكويت أرسل رسالة إلى المقيم البريطاني في بوشهر يخبره بأن أحد الموظفين الروس اتصل به وعرض عليه مساعدات بلاده، ولكنه رفضها، وأنه يفضل أن يتعاون مع بريطانيا، ولكن البريطانيين لم يردوا عليه، لأن حكومتهم لم تكن آنذاك مهتمة بشؤون داخل الجزيرة العربية) «١٨»

ومن الواضح لمن تسنّى له دراسة التاريخ السعودي، أن سياسة بريطانيا تجاه ابن سعود، هي أن لا تقطع معه الحبل ــ حبل المودة والعلاقة ــ وأن لا تضع علاقاتها مع دولة الخلافة موضع الخطر، وأن ذلك مقدم على معاونة ابن سعود.

ولكن ما إن نشبت الحرب العالمية الأولى، وفرزت المواقف، واصطدمت بريطانيا مع تركيا عسكرياً، ظهر الحلف للعلن واضحاً، وانهالت المعونات على ابن سعود، كي يخضع ابن الرشيد ويحول دون معاونته للترك في المدينة والشام ..

كان عبد العزيز قد طلب إقامة معاهدة حماية له مع الانجليز ، وكان يصر على صداقتهم ، ففي عام ١٩٠٢م ، وعام ١٩٠٤م ، وعام ١٩٠٦ ، كانت بريطانيا لازالت تتمنع حول توقيع المعاهدة التي لم تتم إلا في عام ١٩١٥ ، والتي كانت وصمة عار في جبينه ، وهو الذي يلح عليها ..

لقد رأينا كيف اتصل والده بالانجليز قبل مغادرة الكويت ، أما في عام ١٩٠٤ ، فان الحكومة التركية ــ وحين رأت ابن سعود يميل للانجليز ضد ابن الرشيد الذي يواليها ــ أرسلت للأخير تعزيزات عسكرية ضخمة وإلى جانبها حشود من القوات قدمت من العراق ، فما كان من ابن سعود إلاّ أن اتصل بالانجليز سائلا إياهم النجدة ، حيث أرسل رسالة للمقيم البريطاني في الخليج ، اليهودي السير « برسي زكريا كوكس » يحتج فيها على تدخل الأتراك في شؤون بلاده وطالباً المساعدة ، إلا أنه لم يبد حماسة في العون خوفاً من تعريض علاقات بلاده مع الأتراك للخطر ، وبالتالي إمكانية تزعزع موقعهم في الخليج ..

وبالرغم من أن البريطانيين أكدوا من خلال رسائل سفيرهم في اسطنبول معارضتهم للدعم التركي هذا ، خوفاً من أن يؤثر ذلك على مشيخاتهم ، إلا أنهم كانوا صريحين حتى هذا الوقت بأنه لم يحن الموعد لاعلان حماية ابن سعود ..

وفي عام ١٩٠٦م ، وبعد معركة « روضة مهنا » التي قُتِل فيها عبد العزيز بن متعب بن رشيد بالغدر والحيلة ، راح عبد العزيز يغري الوكيل السياسي البريطاني في البحرين « الكابتن بريدو » أن بامكانه طرد العثمانيين من الأحساء ، لذا فانه يرغب في الدخول في معاهدة صداقة مع الحكومة البريطانية لكي تقوم بحماية سواحل بلاده ، مقابل استعداده أن يسمح لهابتعيين وكيل سياسي بريطاني في الأحساء أو القطيف .. وحاول كوكس إقناع حكومة الهند بفوائد اتفاق عبد العزيز معهم ، في الوقت الذي

أرسل الأخير رسالة عن طريق أمير قطر في أكتوبر ١٩٠٦ طالباً الحماية وتوقيع معاهدة ، لكن حكومة الهند اقترحت على كوكس أن يرد على عبد العزيز بما يلي : (مع رغبة الحكومة البريطانية الشديدة في توثيق العلائق الودية مع الأمير ، طالما هو يحترم مصالحها ومعاهداتها مع أمراء الساحل ، فانها لا ترى أية ضرورة في الوقت الحاضر لاعطائه وعداً رسمياً بحمايته ، فان ذلك قد يحرض الحكومة التركية على مناوأته) «١٩» ..

على العموم .. اقتنع ابن سعود بأن من المحال أن تخربط بريطانيا علاقاتها وتعرض مصالحها للخطر من أجله ، ولذا كانت العلاقات معها جيدة وآثر عدم الاصطدام بها ، خصوصاً وأن حليفه وحليف الانجليز « مبارك الصباح » استمر في مد عبد العزيز بالسلاح والدعم المالي ، بتسامح من الانجليز ، الذين رحبوا بالحاح مبارك كي يتصلوا بابن سعود لينضبط في الخط ..

وابن سعود ــ رغم تضايق البريطانيين من كثرة إلحاحه عليهم ــ كانوا مقتنعين من قوله لهم وصدقه في أنه يريد أن يسلك سبيل مبارك ، ففي رسالة من نائب الملك في الهند « ٢٠ مايو ١٩٠٤ » لرؤسائه يقول فيها .. « أنه تسلم الرسالة الأصلية التي وجهها ابن سعود لمبارك إبّان تحرك تركيا وإرسالها الحشود العسكرية لابن الرشيد ، والتي ذكر فيها مبارك أنه خلال زيارته للكويت عام ١٩٠٣ والتي كان يتواجد على أرضها عدد من العسكريين الروس والفرنسيين ، حثه الروس على قبول حمايتهم ، الأمر الذي رفضه بعد مشاورات مع مبارك ، وكذلك رفضه لذات الاقتراح الذي عرضه القنصل الروسي في البصرة ، لأنه لا يريد غير الحماية البريطانية ، وأنه يفضل أن يسلك سبيل مبارك » ..

ويقول كشك أن (التقارير البريطانية السرية تشير كلها إلى هذا الالحاح من جانب ابن سعود ، والرفض من جانب بريطانيا ، بل الضيق

من إصراره على صداقتها ..) وفي مقطع آخر يقول : (لقد ظل ابن سعود يطارد الانجليز منذ دخوله الرياض ، حتى الحرب العالمية ، وبريطانيا زاهدة فيه) .. وفي الحاشية يعلق .. (كتب له « نوكس » المقيم البريطاني في الخليج : « وتقول أنك تحت حمايتنا ، وأحب أن أعرفك أن حكومتنا الموقرة لا تبعثر حمايتها ولا تتعجل في منحها ، وأن طلبك لم يرد عليه بعد » «٢٠») ..

وفي الحقيقة ، لم تعامل بريطانيا ابن سعود كمعاملتها لأي من عملائها من مشايخ الخليج ، الذين — على الأقل — حصلوا على حماية منها ودعم مالي ، أما هو — وإن كانت أموال ابن الصباح الانجليزية لم تتوقف ، إلاّ أن معاهدة الحماية كانت بعيدة المنال .

معارك ابن سعود حتى عام ١٩١٣

بعد احتلال الرياض ، استطاع ابن سعود احتلال مدينتي عنيزه وبريدة في القصيم عام ١٩٠٤م/١٣٢٢هـ ، بقوة السلاح وبذات الدافع الذي ذكرناه « عودة ملك الآباء والأجداد » .. واستطاع في هذه السنة إلحاق الهزيمة بالترك الذين عاونوا ابن الرشيد في معركة البكيرية والشنانة ، ووقع مع الترك اتفاقاً في ذات العام ، تكون فيه منطقة القصيم محايدة ترابط فيها قوات الدولة العثمانية ، إلا أنه — وخلال هذه الأثناء — وقع تمرد في اليمن اضطرت على أثره حكومة الخلافة لسحب جزء من قواتها من القصيم لتعزز وضعها في اليمن ، وما هي إلا فترة قصيرة حتى أخلف ابن سعود وعده ، وبدأت معاركه مع آل الرشيد .. وقد وقعت معركة روضة المهنا عام ١٩٠٦م/١٣٢٤هـ ، قتل فيها قائد آل الرشيد عبد العزيز ، بالخيانة والغدر .

فقبل المعركة بعث ابن الرشيد برسالة إلى ابن سعود يقول فيها : (إنه من العار على رجلين مسلمين أن يتسببا باراقة دماء لا ضرورة لها في حرب دائمة بينهما) .. وهنا نلاحظ أن ابن الرشيد يطرح القضية من الجانب الاسلامي ، أما عدوه فكان همّه الفوز في المعركة ، ولم تكن عنده أهمية بمن يقتل أو يجرح ، ولأنها حرب تدخل فيها النزاعات الشخصية والمطامح الذاتية التي يعلم ابن الرشيد أنها تملأ جوارح خصمه ، اقترح أن تحل المشكلة القائمة بينهما بمبارزة شخصية يحصل المنتصر فيها على كل شيء .. وهذا يوضح حقيقة المعارك التي خاضها عبد العزيز ، والمجردة من أي هدف ديني .. فرفض عبد العزيز الاقتراح وعلق بقوله .. « إن ابن الرشيد بشجاعته المتهورة ، كانت لديه رغبة في الموت .. بينما أريد أنا الحياة .. »«٢١»

وحين بدأت مناورات المعسكرين في الصحراء ، حاصر ابن الرشيد بمهارة عسكرية قوات عبد العزيز ، وقطع إمداداته ، فما كان من أتباعه المقاتلين الباحثين عن الغنائم إلاّ أن تفرقوا ، وبقي مع ابن سعود مائتي مقاتل قسّموا إلى قسمين ، اتجه أحدهما خلف معسكر آل الرشيد والآخر في قباله .. ويروي « المانع » القصة من أحد المهاجمين ، وهو حامل راية ابن سعود في المعركة عبد الرحمن بن مطرف ، الذي يقول بأن القسم الأول تسلل بصمت إلى معسكر ابن الرشيد ، ولم يكن هناك سوى ومض نور صغير ، وحين اقتربوا منه تبين أنه شمعة بداخل خيمة ، التي خرج منها شخص يتبعه خادم يحمل إبريقاً ، فتقدم صاحب راية ابن سعود وهزها فأحدثت ضجيجاً في المعسكر النائم ، فصاح الرجل الذي خرج من الخيمة باتجاهه قائلا .. (وش هالدبرة يا الفريخ) ، والفريخ هو حامل راية ابن الرشيد ، وكان صوت اللهجة الآمرة التي استخدمها الرجل تشبه اللهجة التي يستخدمها السيد مع خادمه ، فعرف الجنود السعوديون بأن هذا

الشخص ما هو إلا ابن الرشيد نفسه ، والذي تصور خطأ أن حامل راية ابن سعود هو حامل رايته « الفريخ » ، فما كان من أحدهم إلا أن صاح « ابن رشيد يا طلابته » .. فتدافعوا نحوه وقتلوه ، فاستيقظ المعسكر عن بكرة أبيه ، وفي هذه اللحظة بدأ الفريق الثاني باطلاق النار من الجهة الأخرى و بصورة مكثفة ، فتصور جيش ابن الرشيد أنهم مطوقون ، فأحدثت زوبعة ، وفي غياب القائد أخذ جنود ابن الرشيد يطلق النار على بعضهم البعض ، بينما انسحب جنود ابن سعود المائتين إلى مكانهم ، حاملين معهم خاتم ابن الرشيد « عبد العزيز » علامة على قتله .

وكان ابن سعود ينتظرهم في مكان يبعد عنهم ثلاثة أيام « وهذا يوضح دوره في المعركة ! » وحين أعلموه بما حدث ، لم يصدق أن ابن الرشيد قتل ، فأمر أتباعه بأن يأتوه برأسه إن كانوا صادقين ، وهكذا عادوا بعد أيام فحزوا رأسه وأتوا به إليه فانتشى بالنصر !! «٢٢».

وهكذا أمن ابن سعود البيت الرشيدي الذي بدأت النزاعات تعصف به ، بعد موت قائده عبد العزيز الرشيد ، مع هذا لم يستطع التوسع خلال سنوات عديدة ، وكان همّه الرئيسي حينها ، إخضاع القبائل التي بدأت في التمرد على سلطان حكمه ، والذين خضعوا له طمعاً في المال ولم يكونوا مهتمين كثيراً في طموحاته التوسعية المعتمدة على المنطق القبلي ..

فقد واجه ثورات مطير ، ثم تمرد حاكم بريدة « محمد أبي الخيل » عام ١٩٠٨م ، وكان الشريف حسين حتى هذه السنين موالياً لحكومة الخلافة ، حيث استطاع أن يخوض بعض المعارك الصغيرة ضد ابن سعود والتي تكللت إحداها بأسر أخ لابن سعود وهو سعد بن عبد الرحمن وذلك في عام ١٩١١م ، واستمرت المساومات حول إطلاق سراحه ، إلى أن وافق بأن يقبل بخضوع القصيم لسيادة الأتراك و يدفع تعويضاً مادياً لاطلاق سراح أخيه ..

في هذه الأثناء لم تنقطع صلات ابن سعود مع الانجليز ، حيث التقى

مع الوكيل السياسي الانجليزي في الكويت « ديكسون » عام ١٩١١م ، بناء على رغبة الانجليز ، الذين كانت تأتيهم أنباء انتصاراته مضخمة من قبل أمير الكويت « مبارك » صديق ووالد « ! » عبد العزيز ، وفي ذلك اللقاء أبدى ابن سعود رغبته في إقامة علاقة خاصة مع الانجليز ، وأنه شديد العداء للترك ، وطلب من حكومته العون كما كان في عام ١٩٠٦ ، كي يحتل الأحساء ، مقابل أن يكون لها وكيل سياسي في الأحساء أو القطيف نفسها .. وردّ عليه شكسبير بأن بلاده مهتمه بالساحل و بالقدر الذي لا يعرض علاقتها مع الأتراك للخطر ..

ولهذا أجل خططه لعامين حتى يحتل الأحساء عام ١٩١٣ ، في الوقت الذي كانت فيه حكومة الخلافة تواجه ثورات وانتفاضات وتمردات في البلقان .. فانتهز هذه الفرصة ووجه قوة لاحتلال الأحساء ، بعد وعود من المواطنين والأهالي بتسهيل الأمر ، وهكذا كان ..

فمع إطلالة عام ١٣٣٠هـ ، كتب جماعة من زعماء الأحساء «٢٢» رسالة لابن سعود بخصوص احتلال الأحساء وإخراج الأتراك الذين لم يستطيعوا أن يحافظوا على حياة الناس ومعاشهم ، والذين كانوا يحكمون بقبضة الحديد .. وما ظنت هذه الجماعة أنهم يستجيرون من الرمضاء بالنار ..

وأجابهم ابن سعود على رسالتهم ، وحصلت مكاتبات بين الطرفين بشأن تسهيل العملية ، وتحديد الزمان والمكان المناسبين .. وبعد عام تقريباً ١٩١٣م / ١٣٣١هـ ، قدم ابن سعود بقوة يدعي مؤرخوه أنها ستمائة شخص ، بينما هي لا تزيد على الثلاثمائة شخص ، وعسكر بجنوده من رجال القبائل بالقرب من الهفوف ، ثم أرسل رسالة مع أحد جنوده إلى الزعماء على أن يتم الدخول للهفوف ليلة الخامس من جمادى الأولى ١٣٣١هـ ، الموافق ١٣ نيسان ١٩١٣م ، وحددت ناحية « سمحاء » من قبل الداعين له ليكون منها التسلل ، وذلك لقلة أبراج الحراسة وضعفها ..

في تلك الليلة قام الأهالي بتسهيل عملية تسلل رجال ابن سعود إلى داخل الهفوف بتسلق الأسوار بالحبال وجذوع النخل ، أما عبد العزيز فقد أدخل باحداث ثقب في السور . وكان للترك في الهفوف حامية صغيرة لا يتجاوز أفرادها الخمسمائة ، يستقر معظمهم في قصر إبراهيم بالكوت « مركز الحكم » .

تقدم عبد العزيز بجنوده نحو الحامية ، واستطاع أسر الحراس القليلين ، وقبل السيطرة على قلعة الكوت طلع الصباح ، فصعد أحد رجاله ، ليقول — كالمعتاد — بأن « الملك لله ثم لعبد العزيز بن سعود » ، أما العسكر المتواجدون في القلعة فانهم أغلقوا الباب ، ولما رأوا بأن الأهالي لا يرغبون في بقائهم وأنهم مع عدوهم ، قرروا التسليم بعد أن وعدوا بترحيلهم بأمان ..

وقد سلمت مناطق الأحساء الأخرى بناء على رسالة من زعيم المسلمين الشيعة آنذاك « الشيخ موسى أبو خمسين » حملها لأهالي القطيف سيد سلمان المحسن مع أحد رجال عبد العزيز يدعى خير الله ..

في صبيحة السادس من جمادى الأولى عام ١٣٣١هـ عقد اتفاق في بيت الشيخ عبد اللطيف الملا ، بين زعماء الأحساء وابن سعود ، ينص على ضمان حرية الأهالي الدينية ، وأن ينشر العدل والاستقرار والأمن المفقود ، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر .. مقابل امتثال الأهالي له وعدم معاونة أعدائه ..

ومن الواضح أن الشروط في معظمها دينية ، ذلك أن الموقعين كانوا في معظمهم من علماء الشيعة وزعمائها ، فكان من الطبيعي أن تأخذ طابعاً دينياً ، بيد أن السبب الحقيقي وراء هذه المطالب هو تجربة الأحساء والقطيف المريرة مع الحكام السعوديين الذين أذاقوا أهالي هذه المنطقة « شيعة وسنة » شتى أنواع العسف والظلم باسم الدين ، ولأن أهالي هذه المنطقة كفار ، فكان أن جرد سيف الظلم عليهم إرضاءاً لنزوات القادة من

آل سعود ..

من هنا كان شرط التعهد بالحرية الدينية مقدماً على كل الشروط ، فهو يعني عدم التدخل في شؤون الشيعة وممارساتهم الدينية ، أما نشر العدل والأمن والاستقرار ، فقد كانا مفقودين في عهد الأتراك ، إلا أن الاستقرار والأمن تحققا ولكن بالارهاب وليس بالعدل .. فقد كانت ممارسات حاكم الأحساء المعين « عبد الله بن جلوي » لا تمت إلى الدين بصلة ، وهو المشهور باسم « الجزار بن جلوي » لكثرة ما أريق من دم على يديه ، ولهذا فان هذا الشخص بحد ذاته يعتبر ظاهرة تستحق الدراسة حقاً ، والمناطق الأخرى المحتلة من البلاد لم تعان من العسف كما عانت على يد هذا الظالم الذي أريد له أن يحقق العدالة السعودية !

ولا نعتقد أن من كتب تاريخ البلاد لم يشر إلى اسم هذه الشخص ابتداء من الريحاني .. إلى فيلبي وصلاح المختار ، والعطار ، وكشك ، وغيرهم كثير .. فهو مضرب المثل باللا أمن واللا عدالة !

والسؤال الذي يطرح هنا :

لماذا وافق ابن سعود على الشروط الدينية ؟

فمن الملاحظ أنه لا توجد شروط بتحسين المعيشة مثلاً ، لأن حال الأحساء يومها كان أفضل بكثير من حال نجد القاحلة ، ولذا لم تكن هناك شروط من هذا النوع ..

ونعتقد أن سبب موافقة عبد العزيز على هذه الشروط البسيطة جداً ، هي أنها لا تكلفه شيئاً ، فهو لم يكن ليهتم بأكثر من إعادة الأمن ، الذي يعني في القاموس السعودي ، تأكيد السيطرة المطلقة على الأحساء ، والشروط الدينية العادية هذه لم تكن لتتعارض مع سلطانه ، فهو لم يدخل الأحساء على أساس أنه فاتح من أجل نشر الاسلام ، فالراية لم ترفع بعد .

ومع أن الاخوان لم يظهروا حينها ، وابن سعود لم يهمه الاسلام من

قريب أو بعيد ، فقد وافق على الشروط ، فالمهم امتثال الأهالي ، ولكننا هنا يهمنا حدس موقعي الاتفاقية من زعماء الشيعة ، فقد أرادوا أن لا يجردوا من حقوقهم إذا ما تغيرت الأوضاع المستقبلية . و يعتقد أن الشيعة بأجمعهم ما كانوا ليدعوه ليحتل الأحساء ، و يقدمونها على طبق من ذهب ، لو أنه ظهر لهم حينها بأنه يكفّرهم كبقية الطوائف الاسلامية ، و يغزوهم باسم الاسلام .

ومما يؤكد ذلك ، أنه في عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م أصدر ابن سعود فرماناً بأنه يتوجب على مواطني الأحساء « شيعة وسنة » إعادة تأكيد الشهادتين واعتناق المذهب الوهابي ، ثم منع ابن جلوي الشيعة من ممارسة شعائرهم الدينية ، حتى اضطروا لاحيائها في منتصف الليل وفي سراديب البيوت ..

و يروى أن الشيخ « موسى أبو خمسين » ذهب وهو يحمل قرآناً ، لمقابلة ابن جلوي « عبد الله » ، وطلب منه تطبيق الاتفاقية المعقودة مع ابن سعود التي تنص على الحرية الدينية ، وأن يعمل بما في القرآن ، فما كان منه إلا أن رمى خنجراً في حجر الشيخ ، الذي عرف الجواب فخرج من المجلس كاظماً غيظه .

والسر في هذا التقلب ، هو أن حركة الاخوان بما تحمله من مفاهيم مخالفة ، كانت قد برزت حينها « ١٩١٦م » وأصبح لها دور رئيسي في القتال بعد أن احتواها عبد العزيز وسايرها ، وأعلن نفسه إماماً لها ، ودعا القبائل لتنخرط في صفوفها ..

في تلك الأثناء كان على عبد العزيز أن يرفع شعار الدين ، وأن يساير قواته التي لم تخضع لسلطانه إلا باسم الاسلام ، ولم يكن حينها يستطيع الوقوف أمام حركة الاخوان ، التي أخذت في التعاظم ، والتي كان يشحنها بمفاهيم غريبة ــ لا يؤمن هو بها ــ إلا في الظاهر ، حتى يستطيع احتلال المناطق باسم الاسلام ..

وقبل أن ينتهي الاخوان ، سيجد عبد العزيز أمامه كوماً من الرسائل ، التي تشكوه وتشكو من تصرفاته وتضييقاته الدينية ، فكان يطالب بالانتظار قليلا .. ولم يدم الانتظار حتى صفيت حركة الاخوان ، وعاد أهالي الأحساء إلى ممارسة شعائرهم بتضييقات شديدة ..

هكذا فهم عبد العزيز الاسلام مطية لمصالحه ، فهو لم يكن يؤمن بمفاهيم الاخوان التي يشحنهم بها ، وما كان يهمه ممارسة الشيعة لشعائرهم ماداموا خاضعين لسلطانه .. وحتى عبد الله بن جلوي حاكم الأحساء والذي يطبق أوامر عبد العزيز ، كان من أشد معارضي الاخوان ، ولم يعهد عنه أنه كان ملتزماً بالدين ممارسة ، أو حتى لفظاً ، وهو الذي كان من فاتحي الرياض بلا إسم ديني أو شعار إسلامي .. وعلى أية حال ، لم يكن لينزل على عبد الله التدين فجأة بعد ظهور الاخوان ، وإن كان يسعى لارضائهم بتطبيق بعض ما يريدون من قسوة على الشيعة !!

المرحلة الثانية « ١٩١٥ ــ ١٩٣٠ » :

قبل أن نشرع في الحديث عن المرحلة الثانية والمهمة في ارتباط الاسلام بابن سعود ، يجدر بنا الحديث عن الحالة الدينية ، وعن المؤسسة الدينية في الفترة الواقعة بين « ١٩٠٢ و ١٩١٥م » ..

ليس هناك مصدر من المصادر التاريخية يمكن الرجوع إليه بخصوص هذا الموضوع ، ولا أعتقد أن أحداً تطرق إلى هذا الموضوع في بحث أو دراسة ، ولكن يمكننا استشفاف الحالة الدينية السائدة آنذاك ، من خلال استعراض وقائع التاريخ ..

فبين احتلال الرياض واحتلال الأحساء ، فترة زمنية ليست بالقصيرة « ١١ سنة » ، يمكن للباحث أن يستشف الوضعية الدينية من خلالها ..

وأول ما سيجده الباحث ، إضافة إلى غياب المفاهيم الدينية في الغزو والاحتلال .. هو غياب دور رجال الدين ، فلم يعهد أن رافق حملات الاحتلال لمدن القصيم والأحساء رجل دين واحد ، ولم يصدر عن أحدهم فتوى تجيز الاحتلال أو على الأقل تدعو إليه ، كما لم يعهد من عبد العزيز أنه طلب مشورة أو فتوى من أي عالم ديني ، بشأن التوسع والاحتلال ..

بيد أن احتلال الأحساء ، أورد بعض اللبس في الموضوع ــ وأن كان لبساً يسهل فهمه والتبين من حقيقته ــ . فبعض المصادر تذكر أن عبد العزيز طلب فتوى من علماء نجد تجيز له التحرك واحتلال الأحساء ، فأجازوه على ذلك ..

وحقيقة الأمر أن عبد العزيز كان خلال هذه الفترة مدفوعاً بالتوسع دون الاعتماد على أي غطاء ديني ، وهو الذي عرض على الانجليز ـــ وقبل احتلال الأحساء بسنوات ـــ مساعدته في ذلك « ١٩٠٦م و ١٩١١م » .. فهو لم يكن بحاجة إلى غطاء ديني لأنه أساساً لا يعتمد عليه ..

ثم أننا كما لاحظنا ، أن عملية الاحتلال للأحساء كانت محسوبة من ناحية المعادلات السياسية والعسكرية داخلياً وخارجياً ، فقد جاء الاحتلال بعد أن اختل وضع الدولة العثمانية في البلقان ، و بعد ما تبين أن الانجليز لن يعترضوا على ذلك .. ، وآل الرشيد كانوا حينها مشغولين بخلافاتهم .. وأخيراً كان وضع الأحساء من الناحية الداخلية ناضجاً ، الأمر الذي يفسره المكاتبات بين علماء الشيعة و بين ابن سعود .. أضف على ذلك ، كان تحرك ابن سعود سرياً وخافياً على الأتراك ، وإن في أخذ الاجازة يعني تنبيه عدوه ، مما يلزمه غزو الأحساء بجيش لجب ، وليس ثلاثمائة مقاتل ، أو ستمائة ـــ على ما يذكره السعوديون ـــ !

وإذا كانت هناك فتوى وإجازة ، فهي بلا شك إجازة علماء الشيعة الذين دعوه وليس علماء نجد ، الذين ما كان بقدرتهم إقرار أي أمر ..

والأمر الآخر الذي سيجده الباحث هو ضمور المؤسسة الدينية ، وغياب المفاهيم الدينية .. حتى أفكار الوهابية أصابها الهزال ..

فالرياض لم تتغير حالتها بعد احتلال عبد العزيز لها ، فلم تنشط حركة طلب العلم ، ولم يكن هناك ذلك الاصرار والتشدد في تطبيق أحكام الشرع ، وعبد العزيز ذاته لم يكن يختلف عن أي حاكم سبقه إلى حكم الرياض من ناحية الالتزام الديني .. فلم يعهد عنه أنه كان ملازماً للصلاة في المسجد جماعة ، أو أنه ألقى كلمة دينية ، أو أنه ربط موضوعاً سياسياً بالدين وحكمه ، كما كان يفعل بعد ذلك .. ولم يعهد عنه أيضاً أن العلماء كانوا ملازمين لمجلسه أو قصره ..

وباختصار ، لم يكن يفرق بين حالة الرياض وعلمائها .. وبين بقية المناطق الأخرى ، سواء التي احتلت أو التي لم تحتل بعد ..

الملاحظة الثالثة التي يمكن أن تقال في هذا الموضوع ، هو أن عبد العزيز لم يقم بأي تبشير ديني ـ إن صح التعبير ـ في المناطق الجديدة التي احتلها ، « بريدة ـ عنيزة ـ الحريق ـ الأحساء ، وغيرها » ، فلم يكن يرسل العلماء إلى هذه المناطق ، بل إنه لم يكن لينكر أي أمر يتعارض مع الدين ، ذلك أن هذه المناطق مجتمعة متشابهة من حيث الحالة الدينية ، كما أنه لم يبطل مشروعاً غير ديني ، أو قانوناً جائراً يتعارض مع الاسلام .. حتى في الأحساء ، استمر على ذات المنهج التركي ، قمع في جانب ، وضرائب باهظة حملها المواطنين لتغطي بعض احتياجاته للمال الذي ينفقه في احتلالاته .

وهنا يمكننا تلخيص دور المؤسسة الدينية في هذه المرحلة في .. « اللا دور » .. سوى الخضوع من قبل علماء الدين لسلطان عبد العزيز ، خصوصاً آل الشيخ الذين حاربوه في محاولته لاحتلال الرياض أول مرة ١٩٠١م ..

وعلى أية حال ، كانت المؤسسة الدينية يلفها الجمود ، وما كانت بحالها هذه تتعارض مع عبد العزيز أو غيره ، لأنها تمارس دوراً قشرياً بعيداً عن السياسة وهموم المجتمع ..

أما بالنسبة للمجتمع النجدي ، فانه يمكننا القول بأنه كان محافظاً بدون استثناء منطقة دون أخرى ، ولا شك أن مفاهيم الدعوة الوهابية كانت راسخة في المجتمع النجدي ، دون أن يكون لها الأولوية في حياتهم ، ودون التشدد في الالتزام بها . لقد أضعف الصراع بين أبناء فيصل بن تركي أواخر الدولة السعودية الثانية وتقديمهم الملك على الدين ، الالتزام والولاء الديني ، وبقي الولاء السياسي والخضوع للقوي ، هو المؤثر ..

حتى أنك لتجد أن آل الرشيد جميعاً لم يكن أحد منهم ضد الدعوة

الوهابية ، بل و يشهد التاريخ أن بعض حكامهم كانوا من دعاتها « عبد الله الرشيد على سبيل المثال » ، ومجتمع حائل كغيره من المجتمعات المدنية الأخرى ، لم يكن ليتهم بأنه بعيد عن أجواء الدين ودعوة محمد عبد الوهاب ، بل لا يستطيع أحد أن يجد فوارق من ناحية الالتزام بين الرياض وحائل ، طوال الاحدى عشر سنة الأولى من حكم عبد العزيز ، وكان صراع الأخير مع آل الرشيد قائماً على الحكم ، فهو يعتقد أنه أحق منهم به ، وأن ذلك ملك آبائه .

الالتزام أولا :

فجأة .. ودون مقدمات ، رفع عبد العزيز اليافطة الدينية !

لماذا ؟ ..

يجيب مؤرخو البيت السعودي ، بأن عبد العزيز كان ملتزماً بالدين الاسلامي ، وأن حكمه ــ كما كان آباؤه وأجداده ــ لا يقوم إلا على أساس الدين وحمل أعباء الرسالة ، ومن هنا أسس حركة الاخوان كي يعيد للاسلام مجده ، و ينشره في ربوع المعموره ..

وحقيقة الأمر التي سيكتشفها القاريء العزيز من خلال هذا البحث ، أن ابن سعود أجبر على رفع شعار الاسلام والتظاهر بالالتزام به ، ولم يكن له دور في بعثه .

وأولى الحقائق التي تهدينا إلى ذلك ، هي لماذا يرفع شعار الاسلام الآن « ١٩١٥م » ولم يرفعه قبل ذلك .. وقبل احتلال الرياض « ١٩٠٢م » ؟

لا أحد يجيب على هذا السؤال .. ولا أحد حاول ذلك ، مع علم المؤرخين أن تحرك عبد العزيز الأولي لم يكن بدافع الدين ..

نحن نؤمن بأن الاسلام ليس شعاراً يرفع ، بل هو التزام قبل كل شيء ، فهل كان عبد العزيز ضالا في تلك السنين الخوالي واهتدى الآن للطريق الصحيح ؟ .. وعلى يد من ؟! .. وكيف استطاع أن يقلب الراية بين عشية وضحاها فأصبح إماماً وداعية للتوحيد ؟!

إن من المستحيل على ابن سعود ، الذي لا يفهم من الاسلام سوى قشوره ، أن يبعث حركة دينية وأن يحيي مجتمع نجد بالاسلام .. لأن من الصعب أن ينهض رجل عاش ــ كعبد العزيز ــ بدون سوابق علميه في الدين أن يتزعم تأسيس حركة دينية ، ولو قام بها رجل دين ما كان ذلك مستغرباً ، بل هو من الأمور الطبيعية جداً .

من هنا يمكننا الجزم بأن الانبعاث الديني الذي انتشر في نجد لم يكن لعبد العزيز فيه أي دور ، بل إنه تبناه واحتواه وسيطر عليه ، ثم وجهه لخدمة مطامعه السياسية .

* * * *

كانت بداية ارتباط عبد العزيز بالراية الاسلامية مع بداية نهوض حركة الاخوان التي اجتاحت نجد في العقد الثاني من القرن الميلادي الحالي .. ولم تكن قبلها بأي حال من الأحوال ..

إلا أن المؤرخين ــ على اختلاف اتجاهاتهم ــ وقفوا مشدوهين أمام هذه الظاهرة واختلفوا في تحديد إسم مؤسس الحركة الاخوانية ، هل هو عبد العزيز أم غيره ؟ .. كما اختلفوا حول تحديد العام الذي تأسست فيه ..

إن من تحدث على أن عبد العزيز هو المؤسس ، يحتاج إلى أن يتخلص من إشكالية تاريخية ، فهناك شخصية اسمها « عبد الكريم المغربي » لها دور ــ أو على الأقل ــ ارتباط بحركة الاخوان ، وهنا نجد إجماعاً يكاد

يكون مطلقاً على أن هذه الشخصية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحركة الاخوان ، والذين يقولون أن عبد العزيز هو المؤسس ، عليهم قبل كل شيء أن يتخلصوا من هذا الاسم الذي فرض نفسه ..

إننا حين نبحث عن من وضع أساس حركة الاخوان ، لا نقصد بذلك البحث التاريخي المجرد ، وإنما لأن المسألة تتعلق بالوضع الديني وارتباط عبد العزيز به ، فاذا كان هو المؤسس حقاً ، فعلينا القبول بأنه كان مرشداً دينياً .. وداعية إسلامياً ، قبل أن تولد حركة الاخوان والتي قامت على أساس عقائدي ديني .. وأن علينا القبول في هذه الحالة بأن المؤسسة الدينية ورجال الدين كان دورهم بارزاً في تلك الفترة ، وأن نهضة دينية كانت تعم البلاد على يديه .. الأمر الذي لا نجد مصدراً تاريخياً يشير إليه .

أما إذا لم يكن هو المؤسس ، فهناك أمور ترتبط بالقضية يجب أن تبحث ، وهي كيفية الارتباط والدافع لها ..

السعوديون يحاولون التأكيد على أن عبد العزيز هو الذي أسس حركة الاخوان ، وبعض المؤرخين قال أنه أسسها في عام ١٩١١م وآخرون قالوا ١٩١٢م ، وقسم ثالث قال ١٩١٣م ، فالدكتور غسان سلامة يذكر في كتابه أن الحركة أسست عام ١٩١١م ، وأشار إلى أن عبد العزيز وراءها «٢٤» .. أما صلاح الدين المختار فيذكر في كتابه « تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها » أن الحركة أسست عام ١٩١٢م على يد ابن سعود :

(وقد استطاع الامام تحقيق فكرته هذه في سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م ، بيد أنه اصطدم بعقبات غير منتظرة ، ذلك أن المهاجرين أخذوا يشعرون بأنهم جند الله قبل أن يكونوا جند ابن سعود) «٢٥» ..

وكذلك محمد المانع مترجم الملك عبد العزيز يقول :

(في سنة ١٩١٢م قام باحياء الحركة الدينية التطهيرية التي أنشأها محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر) «٢٦»

والزركلي في كتابه « شبه جزيرة العرب في عهد الملك عبد العزيز » يعتقد بأنها تأسست عام ١٩١٣م ، ولكن بدون أن يكون لابن سعود يد فيها ..

على أية حال .. ترجح المصادر التاريخية أن تأسسها كان في عام ١٩١٢م ، وإن كان صيتها لم يظهر قبل عام ١٩١٤م ..

لقد أسست حركة الاخوان على أساس العقيدة السلفية التي أثارها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والتي كانت حتى عام ١٩١٢ راسخة الجذور ، وكان الشخص الحقيقي الذي بعثها هو الشيخ عبد الكريم المغربي .. لكنه توفي ، إلى أن وصلت الرئاسة إلى شيخ قبيلة مطير فيصل الدويش .

ونعتقد أن هجرة الأرطاوية التي ترعرت فيها بذرة الاخوان ، كانت النواة والنموذج الذي قلده الملك عبد العزيز فيما بعد ، حين توسعت وتعددت الهجر .. وهنا نلتقي مع ما قاله جلال كشك .. « بأن عبد العزيز هو الذي أعطاها شكلها ومضمونها فيما بعد » .. هذا المضمون تغير على أية حال ليتوافق مع رغبات الملك ، الذي لم يكن مؤسساً لها ..

يقول ديكسون في كتابه « الكويت وجاراتها » :

(وقد بدأ هذه الحركة العالم المتدين الشيخ عبد الكريم المغربي ، الذي كان المعلم الأكبر للمرحوم فالح باشا السعدون شيخ المنتفك .. وأصبح بعد ذلك معلماً لمزعل باشا السعدون والد إبراهيم بيك السعدون ، وعندما ترك عبد الكريم خدمة مزعل باشا غادر العراق إلى نجد ، حيث أظهر نفسه كمعلم ومصلح ديني في مدينة الأرطاوية التي كانت وكراً صغيراً للوهابية .. ــ ويضيف ــ كذلك لم يكن لابن سعود أي علاقة بنشأة الحركة ، ولكن الحركة أول ما استرعت انتباه عبد العزيز ، بعد أن استعاد الأحساء من الأتراك ، ولم تظهر حركة الاخوان إلى العلن [٢٧] في

نجد قبل سنة ١٩١٤م) ..

و يقول جمال زكر يا قاسم في كتابه « الخليج العربي »«٢٨» :

(لم يعرف عن هذه الحركة شيء في الجزيرة العربية إلا في عام ١٩١٤ ، أي بعد استيلاء ابن سعود على الأحساء) و يضيف في الهامش : (تنسب هذه الحركة إلى الشيخ عبد الكريم المغربي الذي عمل لدى شيوخ المنتفق في العراق ، ثم رحل إلى نجد ، حيث أظهر نفسه كمعلم ومصلح ديني في أرطاوية ، وهي الهجرة الرئيسية لقبيلة مطير) .

وفي موقع آخر يقول :

(وفي أواخر عام ١٩١٥ راع ابن سعود تضخم هذه الحركة مما وضعه أمام حلّين . إما أن يقضي عليها أو يصبح زعيماً لها ، و بالتالي تتاح له فرصة استغلال حماسة أتباعها في تدعيم نفوذه في الجزيرة العربية وسواحل الخليج

وقد اختار ابن سعود الأمر الثاني رغم تحذيرات عبد الله بن جلوي حاكم الأحساء ، الذي نصحه فيما يقال بالتخلي عن هذه الحركة التي شبهها بنار تلتهم كل شيء أمامها . وفي عام ١٩١٦ أصدر ابن سعود أمره القاضي بانخراط جميع قبائل نجد في صفوف الحركة الجديدة وأن يدفعوا له الزكاة بصفته إمامهم الشرعي) «٢٩»..

و « كشك » مع أنه لا يؤكد أن مؤسس الحركة هوعبد العزيز ، إلا أنه يعتقد بأن ما يظنه (البعض أنه باثبات أسبقية وجود الفكرة على تبني عبد العزيز ينتقص من قدره ، بل و يذهبون إلى القول بأن الحركة نمت إلى حد تخويف عبد العزيز ، هو تفسير هزلي) .. وإذا كان كذلك حقاً .. فبماذا يفسر « كشك » ؟

يعتقد كشك بأن الهجر (ظهرت براعمها تلقائياً ، كما هو الحال في كل الارهاصات الكبرى في التاريخ ، إلا أن أية دراسة علمية تستحق هذه الصفة ، لا يمكن أن تتحدث عن حركة الاخوان إلا بنسبتها لعبد العزيز ،

فهو الذي أعطاها شكلها ومضمونها ، وهو الذي غير بها التاريخ ، وأدخلها التاريخ «٣٠» ، ومن ثم فكل الجدل حول من كان أولا ، إنما هو جدل أكاديمي) «٣١» .. وهو هنا لا يؤكد نسبتها لعبد العزيز .. بل يطرح قصة أخرى عن كيفية انبعاث الحركة بدون أن تكون هناك أدنى إشارة إلى أن ابن سعود وراءها ، رغم أنه أكد مسبقاً بأن الشكل الذي اتخذته فيما بعد والمضمون التي حملته ، كان من صنعه ، وهو صحيح إلى حد بعيد ..

يقول كشك :

[وقد نقل الزركلي « بتصرف » مقالاً نشر في مجلة « لغة العرب » ببغداد ، جمادى الآخر ١٣٣١/مايو ــ يونية ١٩١٣ عن هجرة الأرطاوية جاء فيه : (منذ بضعة أشهر ، باعت إحدى عشائر نجد ، خيلها وجمالها ، وما عندها من العروض والأموال بأمرين لا غيرهما ، الزراعة والعلم ، وقد أهمل أفرادها كل شيء سواهما ، والعشيرة اسمها العريمات ، وشيخها « قويعد الصريمة » وهي من قبيلة حرب) .]«٣٢»

ويبدو من وقائع التاريخ أن عبد العزيز ، الذي كان حينها يسعى للسيطرة على نجد وغيرها من المناطق من منطلق قبلي ومادي ضيق ، وجد في الاخوان أنهم يسعون للسيطرة على البلاد ، ولكن من منطلق ديني وعقائدي بحت .

فكان يقوم بزيارتهم ، ويظهر نفسه بمظهر الدين ، وأنه ملتزم مثلهم ويحمل أهدافاً كالتي يحملونها ، ثم دعاهم للخضوع لسيطرته والقتال تحت رايته ، ولكنهم رفضوا هذا العرض من منافسهم ، وهذا ما يفسر أن عبد العزيز كان في صدام معهم من قبيل المنافسة حتى عام ١٩١٤ على الأقل ..

ويوضح حافظ وهبة هذه الحقيقة بالقول :

(قرأوا أن من آية الاخلاص لله ودينه .. وآية الايمان الصحيح ، التخلص من كل ما يشم منه رائحة الجاهلية ، فأخذوا يبيعون إبلهم

وأغنامهم ، و ينقطعون في الهجر للعبادة وسماع السيرة النبوية ، وغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتاريخ انتشار الاسلام في جزيرة العرب ، فوجدوا أن حياتهم الأولى تشبه حالة الاسلام في حياته الأخيرة ، فعكف أكثرهم على تعلم مبادىء القراءة وحفظ شيء من القرآن والحديث . غيرأن هذا الانقلاب كان خطيراً وعنيفاً جداً ، لقد تشرب هؤلاء كثيراً من المبادىء والتعاليم الناقصة ، حتى اعتقدوا أنها هي الدين ، وما سواها ضلالة ، كما أساؤوا الظن بغيرهم من حضر نجد ، بل و بولي أمرهم الامام عبد العزيز) .. «٣٣»

هذا الكلام يثبت أن الانقلاب في حياتهم كان خطراً على عبد العزيز ، الذي لم يكن حينها ولياً لأمرهم أو إمامهم ، والذي لم يكن يعتبر عندهم أكثر من أي حاكم من حكام نجد ..

ولعل هذه الفقره التي أوردناها سابقاً لصلاح الدين المختار تضع النقاط على الحروف :

(وقد استطاع الامام تحقيق فكرته هذه في سنة ١٣٣٠هـ « ١٩١٢م » بيد أنه اصطدم بعقبات غير منتظرة ، ذلك أن المهاجرين أخذوا يشعرون بأنهم جند الله قبل أن يكونوا جند ابن سعود ..) ..

وهذا يؤكد على أن تأسيس الحركة لم يكن على يد ابن سعود ، كما أن هذه الحركة لم تكن تعترف بعد العزيز حتى عام ١٩١٤م ..

ومهما يكن من أمر ، فان عبد العزيز بعد زيارات متتالية للأرطاوية ، استطاع أن يقنع قادة الحركة عام ١٩١٥ بمشاريعه التوسعية التي عرضها بصيغة إسلامية ، وعدد المكاسب الاسلامية في هذا الأمر .. كما أغراهم بأن يضم إليهم كل قبائل نجد حتى تصبح هجراً كهجرتهم ، و يكونوا هم المشرفون عليها ..

الهدف من احتواء الاخوان :

طالما أن ابن سعود لم يهتم بأي بعث ديني ، لأنه أساساً يعتمد على المنطق الجاهلي ، وطالما أن بعث حركة الاخوان لم يتم على يديه .. فما هو سر ركضه وراءها واحتواءها ؟ .. وما هو سر تشبثه بالدين وحمل لقب الامام ؟

لم يكن ابن سعود يلقب بالامام وإنما بالأمير أو « الشيوخ » ــ وهي غير شيوخ الدين ــ ، ذلك أن لقب الامام اهتزّ كثيراً بعد تصارع أبناء فيصل بن تركي ، إذ حاول كل منهم أن يسمي نفسه بالامام علامة على شرعيته ، وحين استولى ابن سعود على الحكم ، أبعد هذا اللقب عن نفسه ، ثم عاد وأكده بعد احتوائه الاخوان ، الذين يعرفون الفرق بين الملك والامام ، وهم بتدينهم لا يحلو لهم أن يلقبوه بغير الامام ، تأكيداً على العلاقة الدينية التي تربطهم به ، وهكذا حمل ابن سعود هذا اللقب تجاوباً مع الاخوان ، وتمشياً مع المفاهيم التي يحملونها ..

يقول « كشك » في هذا المعني :

(بالنسبة لعبد العزيز ، فقد بدأ تلقيبه بالامام على نحو بارز بظهور حركة الاخوان ، وانتهى ذلك بزوالهم) «٣٤» ، وهذا يبين أن عبد العزيز لم يحمل اللقب إلا خضوعاً للاخوان وليس عن إيمان ، ولهذا ترك لقب « الامام » بعد أن قضى عليهم .

ومهما يكن ، فان منظار ابن سعود للحركة لا يتعدى في أنه وجدها

وسيلة لطموحاته ، وكل الشواهد التاريخية ووقائع الأحداث تؤكد ذلك .. والأمر الذي دعاه لتبنيها ، ماهو إلا لهذا الهدف ، فلما تحقق ذلك قضى عليها ، وكبل قادتها ، وأودعوا السجون إلى أن ماتوا .. ثم بدأت مرحلة أخرى من تاريخ البلاد .

لقد هال عبد العزيز عند زيارته للأرطاوية ، التماسك الديني والتآخي بين أفراد القبائل الذين كانوا بالأمس في نزاع مستمر وعداء تاريخي مرير .. كما لمس التعاون بينهم وطاعتهم لقيادتهم .

وهنا وجد أن حل مشاكله لا يمكن أن يتم إلا بتطبيق هذا الأنموذج الفريد في نجد ، وحمل ذات اللواء الذي يحملونه .. فعبد العزيز لازال يواجه مشكلات عصيّة على التطويع ، أهمها الولاء القبلي الذي يحد من قدرته على الاستفادة من أبناء القبائل المتقلبة الولاءات والمتعددة الاهتمامات .. ثم أنه كان بحاجة ماسة إلى دفع المال الكثير لشيوخ هذه القبائل وتعويضها مقابل خوض حروبه التوسعية وتحقيق مطامعه في السيطرة على المناطق الأخرى ، فغياب المفهوم الديني في الغزو ، ومن ثم الاحتلال ، كلّفه كثيراً .. ذلك أن القبائل والمدن والمناطق لا تخضع بالمال ولا بالقوة — وإن كانت ترضخ له مؤقتاً — لكنها لا تلبث أن تثور وتتمرد عليه ، وكذلك قواته التي تلتحق به من أجل المال الذي يدفعه لها ، كان يعوزها النفس الديني وروح التضحية والاستبسال في القتال ، إضافة إلى مداومة الولاء الذي لم يكن متوفراً حينها ، لأن هذه القبائل تنتقل من مكان لآخر يصعب عليه السيطرة عليها وحكمها ، فضلا عن دفعها معه للقتال ..

ولا شك أن ابن سعود كان بحاجة إلى إعطاء هدف ديني للتوسع ، وبالذات للبدوي الذي لا ينظر لأبعد من أرنبة أنفه ..

كل هذه الأمور كانت متوفرة بشكل لا مثيل له في واحة الأرطاوية التي خرجت الرعيل الأول من قادة حركة الاخوان ، .

ويمكننا أن نقول ، بأن ابن سعود كان تواقاً لتطبيق هذا الأنموذج على القبائل التي أخضعها « فهو يعلم أنه لن يكون بمقدوره إخضاع المناطق — وإلى الأ بد — إلا باسم الاسلام والدعوة لتطبيقه ..

ونخلص لهذه النتيجة :

* من أجل السيطرة على البدو المتنقلين الذين لا يمكن لحاكم أن يخضعهم وهم بهذه الحالة السر يعة التغير ، والانتقال من مكان لآخر .
* ومن أجل إعطاء هدف ديني لتوسعاته ..
* ومن أجل الاستفادة من روح التضحية والفداء في هذه الاحتلالات .
* ومن أجل أن يكون الولاء له وليس للقبيلة ..

من أجل هذا كله ، اختار السيطرة على حركة الاخوان وتطو ير التجر بة ، مع إضافة بعض المفاهيم التي يشحن بها البدو والتي تسهل عليه الأمر ..

ولذا نرى إصراره على احتوائها ، ورفضه عروض ابن جلوي ، الذي كان يحبذ مواجهتها عسكر ياً باعتبارها منافساً لسلطان سيده ، ولم يكن ليقبل بأن يتعايش معها دون احتواء ، لأن ذلك سيمكن الاخوان ، وهم الذين بدأوا ينهضون بروح جديدة وقوة عسكر ية حديدية ، بايجاد مشاكل عديدة في المناطق التي يحتلها ، وسوف يثيرون الناس عليه .. لهذا التحق بركبها ، وأظهر خضوعه لمبادئها ، ثم جيّرها لأهدافه ..

يقول فيلبي :

(مشكلتان واجهتا — منذ زمن سحيق — كل من حاول حكم الجز يرة العر بية ، الأ ولى هي عداوات البدو ، والثانية فقدان الهدف المشترك الذي يشكل المركز الذي يلتف حوله . وقد استطاع بيت الرشيد — إلى حد ما — أن يتخطى هذه المصاعب ، بفضل الصفة الخاصة لقبيلة شمر «٣٥» ، التي تدعمت وحدتها بامتلاك عاصمة ، وحاكم من دمهم . ولكن الوضع مختلف

مع بيت سعود ، فهم لا يحكمون استناداً إلى عصبية قبلية «٣٦» ، بل يعتمدون في مركزهم الذي صنعوه لأنفسهم ، على اتحاد قبائل ، مستعدة في أي لحظة للتطويح بحكمهم إذا ما فقد مبرره) ..

ويعتقد فيلبي أنه لولم تكن حركة الاخوان موجودة ، لحاول عبد العزيز إيجاد تحرك ديني يمتطيه ، وهذا على سبيل الافتراض ، للتدليل على أهمية الدين كعامل توحيد :

(ومع ذلك ، يمكن الافتراض أن فكرة نهضة وهابية أخرى «٣٧» كانت تختمر في رأس ابن سعود ، كعامل سياسي يستفيد منه) ..

ويقسم جمال قاسم ، حركة الاخوان بالنسبة لعلاقاتها بابن سعود إلى ثلاثة أدوار رئيسية ، موضحاً هدف عبد العزيز من تحالفه معها وأهدافه منها :

(الدور الأول من ١٩١٥ إلى ١٩٢٢ ، وفي هذه المرحلة استغل ابن سعود الاخوان لتوسيع رقعة ممتلكاته ، ولذلك يمكننا أن نقرر أن جميع الحروب التي خاضها الاخوان في هذه المرحلة ، كانت تتم بأوامر صريحة من ابن سعود ، ظهر ذلك في حروبهم ضد الكويت في حمض والجهرى ، وكذلك في حروب ابن سعود ضد آل الرشيد وإسقاطه لامارتهم في حائل ١٩٢٢ .

والدور الثاني يمكن تحديده بالفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٥ ، ويظهر في هذه المرحلة تغاضي ابن سعود عن نشاط الاخوان وتحركاتهم ، طالما كان توسعهم يتم لمصلحته .

أما الدور الثالث فيشمل الفترة من ١٩٢٦ إلى ١٩٣٠ ، وفي هذا الدور تظهر بوضوح ، الخلافات بين ابن سعود وبين زعماء الاخوان ، بعد أن وجدهم يعارضون سياسته وأسلوبه في الحكم ، ولذلك كان من الطبيعي أن تنتهي هذه المرحلة بثورتهم عليه ، ثم نجاحه في قمع ثورتهم والقبض على كثير من زعمائهم) «٣٨» .

و يقول مترجم الملك « المانع »في كتابه :

(لقد كان من المستحيل الاعتماد على البادية في بناء مملكة ، فقد حاول كثير من العظماء في الجزيرة العربية أن يوحدوها تحت ظل حكومة واحدة ، لكن لم ينجح أحد منهم لمدة طويلة . وكانت المشكلة تكمن في أن رجال القبائل لديهم نزعة استقلالية حادة ، ولا يكنون ولاءاً لأي شخص ليس منهم) «٣٩»

وفي موقع آخر يقول : (لقد كان من أعظم مشكلات ابن سعود في بناء دولة مستقرة ، تلك المشكلة التي واجهت كل زعيم في الصحراء العربية ، وهي نزعة رجال القبائل الحادة إلى الاستقلال ، وحبهم للحرب ، وسرعة تغير ولاءاتهم ، وفي سنة ١٩١٢م ، قام باحياء الحركة الدينية التطهيرية التي أنشأها محمد بن عبد الوهاب في القرن الثامن عشر ، وكان هدفه من إحيائها جمع رجال القبائل على طاعة الله ، وكان من أعظم خطواته في ذلك أن شجعهم على الاستيطان في أماكن مستقرة ، ومن هنا نبعت الحركة الدينية المعروفة باسم الاخوان والتي كانت مصدراً لمحار بين متعصبين على أتم الاستعداد للقتال في سبيل الله حتى الموت .. وفي خلال سنة واحدة من مولد حركة الاخوان ، وجد ابن سعود لديه جيشاً كبيراً قوياً متحمساً من رجاله يعتبرونه أداة الله المختارة ، وجنوداً يمكن أن يوثق باستمرار ولاءهم له وتلبية ندائه كلما نادى للحرب) «٤٠» .

وفي موضع ثالث يقول :

(وقد جعلتهم طبيعتهم القلقة ، وعدم تسامحهم الديني ، تواقين إلى شن الحروب على الكفار ، ولأن الكافر في عيونهم كان تقريباً كل من ليس من الاخوان ، فان حركتهم أصبحت سلاحاً في يد ابن سعود يستطيع أن يشهره في وجوه أعدائه) «٤١» ..

وهذا النص غني عن التعليق ..

فابن سعود يلقنهم بأن غيرهم كفار ، ولذا لابد من محار بتهم واحتلال أراضيهم وهو المهم ، وما عليه إلا أن يجمع له بعض العلماء ليفتوا بأن هذا كافر .. وأهل المدينة الفلانية كفار ، حتى يشنوا الحرب و يستولوا عليها !

وأبلغ من النص السابق ما قاله الريحاني في « ملوك العرب » «٤٢» :

(إن عنده ـــ أي عبد العزيز ـــ لكل من الاخوان وظيفة ومقاماً : المعتدل للخدمة ، والمتساهل للتجارة والسياسة ، والمجنون للقتال !)

و يؤكد غسان سلامة أن السعوديين مجبرون على حمل لواء الاسلام ، وأنهم دمجوا طموحاتهم السياسية بالقضية الدينية ، وأن عبد العزيز أنشأ الاخوان لحاجته للاحتلال ..

(كانت التجزئة السياسية التي سادت تاريخ الجزيرة العربية ، مقرونة بالتشرذم الطائفي ، وفي هذا المجتمع الذي لا يعرف الحدود والذي تشكل فيه الروح القبلية الأساس شبه الوحيد لأي شعور بالانتماء المجتمعي ، كانت كل سلطة تسعى للاستمرار والتوسع ، مجبرة على إرساء شرعيتها على تيار ديني خاص بها ، وكان الرجوع إلى الاسلام سلاحاً جوهرياً في سبيل إرساء قاعدة شعبية واسعة تتخطى إطار القبيلة) «٤٣» ، وهذا ما طبقه السعوديون وعلى رأسهم ابن سعود .

و بعد أن ينقل وصف الريحاني لعبد العزيز بأنه يصنع الاخوان و يرسلهم مفعمين بالحماس لنصرة الله ونجد ، يقول: (فتبين كيف تعمل السلطة ولصالحها ، على دمج القضية الدينية بالطموحات السياسية) .. «٤٤»

ثم يوضح أن نشأة الاخوان « تبني الاخوان وتوسيع نشاطهم » كان بسبب الحاجة للاحتلال :

(على صعيد القاعدة ، فقد نجح السعوديون في تحويل البدو إلى جيوش غازية لا تقيم وزناً لأي حدود ، فاستخدموا بذلك ـــ وأكثر من أية قوة أخرى ـــ لتوطيد وتوسع السلطة السعودية ، وعندما سعت هذه الأخيرة ، إلى

اكتساب بعض الشرعية الدولية ، وجدت نفسها مجبرة على مواجهة هذه القوى « يقصد الاخوان » ، ليس بهدف إثارة حماسها ودفعها إلى الهجوم ، بل لتخفف من روح الفتح عندها ، قبل أن تعمل على تصفيتها .

ولكن من هم هؤلاء الرجال الذين يشكلون أداة بالغة الفائدة لسلطة طموحة ؟ .. وهل هم منظمون ؟ ..

إن الذين خدموا قضية عبد العزيز في القرن العشرين لا يختلفون بشكل جوهري ، عن أسلافهم في القرنين السابقين . إلا أننا سنكتفي هنا بالحديث عن حركة الاخوان التي تم تأسيسها في عام « ١٩١١ » .

كان عبد العزيز في تلك الفترة ، أمام معضلة كبيرة الصعوبة : كان طموحه يرمي إلى إعادة توحيد شبه الجزيرة لصالحه ، إلا أن أشد أتباعه كانوا ينتمون إلى مقاطعة نجد التى بقيت على إخلاصها للتيار الوهابي ، وكان هؤلاء لا يستطيعون التخلي عن زراعتهم ، وعن حرفهم أو أعمالهم التجارية الصغيرة ليتبعوا الملك الشاب في حملاته البعيدة ، بينما كانت أعداد البدو ـــ في المقابل ـــ كبيرة ، وكان من اليسير إثارة حماسها ، ولكن المشكلة في أن البدو غير موثوقين وغير منظمين ، لأن ولاءهم للقبيلة يتقدم أي ولاء آخر .. كان البدو يقدمون أحياناً يد العون لعبد العزيز ، وفقط حينما يستطيع هذا الأخير أن يعقد تحالفاً ـــ ولو هشاً ـــ مع زعمائهم . والحال أن البدو كانوا القوة الوحيدة التي تخوض القتال بعيداً عبر الصحراء ، لأنهم لا يملكون ما يشدهم إلى مكان معين في المساحة الصحراوية الشاسعة ، حيث يعيشون حياة ترحال مستمر ، ولهذا السبب كان عبد العزيز يسعى لتشكيل قوات تتمتع بتنظيم وإخلاص الحضريين .. وقدرة البدو وحركتهم في آن معاً .

كانت نشأة الاخوان إذن ، استجابة لهذه الحاجة . «٤٥»

من خلال سرد هذه المقتطفات من الكتب والمصادر التاريخية المختلفة

يتبين أن الهدف من احتواء الاخوان وتوسيع رقعة نشاطهم .. إنما يرجع للحاجة في السيطرة والتوسع .

واتخذ « كشك » نفسه مدافعاً عن عبد العزيز ، فنفى أنه « غرر بالاخوان واستخدمهم .. فلما قضى حاجته قضى عليهم » ، كما نفى قول « جون حبيب » الذي قال أن عبد العزيز « ضربهم عندما حققوا الهدف الذي أنشأهم من أجله » ، ثم يكمل نفيه بدون مبرر فيسخر من مؤلف كتاب « الاصلاح الاجتماعي » لأنه يعتقد بأن سذاجة البدو وعاطفتهم جعلتهم يصدقون كل شيء قاله الملك لهم ، مما ساعد على نجاح مشروعه والذي استفاد من طبيعة البدو هذه فاستخدمها لتحقيق أهدافه في الحكم .. كما ينكر عليه قوله : « بأن البدو لا يهتمون بالسياسة وإنما لديهم إحساس عميق بالأمور الدينية لم ينطفيء بتصفية زعماء الاخوان »

في نهاية المطاف استطاع عبد العزيز إخضاع حركة الاخوان لسلطانه ، وأمر في عام ١٩١٦م ، كل القبائل أن تقوم ببناء هجر مشابهة للأرطاوية ، ولم تقبل القبائل هذا الاقتراح برحابة صدر ، بل كان المال أولا والسيف ثانياً من نصيب المخالفين ..

ولم تكن أهداف ابن سعود خافية على الكثير من القبائل التي خضعت ، ولكن لا حول لها ولا قوة ولا قبل لها بالمواجهة ، إلا قبيلة « العجمان » التي رفضت الاعتراف بابن سعود إماماً على الاخوان ، ورفضوا الانضمام لسلك الهجر ، لذا أراد تأديبهم حتى يكونوا مثلا للقبائل الأخرى .. (ولا يرجع رفضهم إلى أنهم لم يؤمنوا بتعاليم الاخوانية ، بل لأنهم كانوا يتوجسون من نوايا ابن سعود الرامية إلى إضعاف قوتهم) «٤٦» ..

و يقول ديكسون «٤٧» :

(كان ابن سعود ينوي نقل قبيلة العجمان من منطقة الأحساء الساحلية

ــ موطنها الأصلي ــ إلى نجد ، حيث يقسمها إلى أقسامها العشرين التي تتألف منها ، و يضع كل قسم في حاضرة من حواضر الاخوان ، وذلك لكي يشتت شملها) .. وسياسة فرق تسد طبقها كثيراً ، يقول مترجمه :

(وكل رجل يطمح في أن يصبح ملكاً عظيماً وسط جزيرة العرب كان يحتاج إلى معرفة موسوعية بتشكيل كل قبيلة وما يوجد في داخلها من منافسات ، ذلك أن مبدأ « فرق تسد » يمكن أن يستخدم إلى مدى بعيد بين القبائل المختلفة و بين الفروع المتعددة في القبيلة الواحدة ، ولم يكن ابن سعود يعرف دقائق النظام القبلي العربي معرفة تامة فحسب ، وانما كان يعرف أيضاً كيف يستخدم المنافسات بين القبائل لمصلحته ، فهو كثيراً ما جعل الفروع الأقل قوة من القبائل الكبيرة تتحالف معه ضد الفروع الأكثر قوة من تلك القبائل) «٤٨» ..

وفي الأخير خضعت .. بعد التضييقات التي مارسها ابن سعود على « العجمان » الذين استسلموا له عام ١٩١٩م ، حيث اعترفوا به إماماً عليهم ، وعادوا إلى مقاطعات نجد حيث انخرطوا في صفوف الاخوان .. وهناك ذابوا في التجمعات وانتهت قوتهم .

وأعداء ابن سعود كانوا يعلمون أنه يستخدم حركة الاخوان لتحقيق طموحاته السياسية ، فالشريف حسين كان يصر على حل حركة الاخوان التي كانت متضخمة حينها ، حتى يتمكن من مفاوضة ابن سعود .. وابنه فيصل شرح للانجليز بأن الحركة الوهابية حركة توسعية مجندة لخدمة أهداف سياسية«٤٩» .

وحتى الانجليز يعلمون مقدار الارتباط بين ابن سعود والحركة ، فهم يعتقدون بأن التوسع لن يتم دون الاعتماد على الوهابية .. و يقول ديكسون المعتمد السياسي الانجليزي في الكويت :

(إن أحداً من الذين عرفوا ابن سعود لا يستطيع أن يتهمه شخصياً

بالتعصب الوهابي ، أو بالهيجان والاندفاع الديني الأعمى ، الذي كان يحقن به أتباعه من الاخوان ، فقد كان في المناسبات ــ وحسب ما يلائم أغراضه ــ يتظاهر أمام أتباعه بأن له نفس نظرتهم .. فعندما يجتمع بشيوخ القبائل في كل المناسبات ــ وحتى في حضوري ــ كان ابن سعود يندد بالأجانب و يتكلم ضدهم ، ومثالا على ذلك قال مرة أن المساعدة الشهرية ومقدارها « ٧٥ ألف روبية » التي كانت تقدمها له الحكومة البريطانية ، والتي حملت قسطاً منها إليه أثناء زيارتي ، هي جزية كان يدفعها المسيحيون إلى قادة الاسلام الأوائل بدلا من الخدمة العسكرية) ..

و يقدم مثالاً آخر يؤكد عدم التزامه بمعتقدات الاخوان :

(وقد حذرني في المجلس أن التبغ حرام وخطيئة مميتة ، وأن من يدخنه في نجد يكون قد خرق القانون ، و بذلك يعرض نفسه للأذى ، ومع ذلك أرسل إلي ابن سعود الموقر ــ بعد حلول الظلام ــ علبتين من أفخر السجائر المصرية ، بيد الدكتور عبد الله الدملوجي ، طالباً مني أن أدخنها في غرفتي) «٥٠» .

ومن الملاحظ أن الانجليز في تقاريرهم ومذكراتهم يبرئون ابن سعود من التعصب الديني ، والذي يعني في نظر الاخوان التساهل أو التحلل عن الدين ، والكتاب السعوديون يفاخرون بشهادات الانجليز هذه .. ومن هنا لا معنى بأن يقال أن ابن سعود هو المؤسس والمرشد .. ولا معنى لقول فؤاد حمزة في كتابه « قلب الجزيرة العربية » من أن ابن سعود « أرشدهم بالدين إلى واجباتهم الدينية نحو الخالق ، ونحو إخوانهم في البشرية ! » .. ولا معنى أيضاً للترهات التي يطلقها بعض المؤرخين من أن ابن سعود أدخل الناس في الدين وعلمهم مفاهيم التوحيد ، وهو الذي ينتهك كل القيم من أجل الحكم ولا شيء سواه .

وحتى محمد أسد الذي أسلم ووضع الآمال في الحكم السعودي ، عبّر

عن خيبة أمله في عبد العزيز ووجده حاكماً كالحكام ، وأنه يستخدم الدين وسيلة وليس هدفاً ..

يوضح محمد أسد رأيه في الاخوان وحماستهم فيؤكد أنهم يعتقدون بأن جهادهم ديني ، واستثنى عبد العزيز من ذلك ، مما أثار « كشك » .. ويطرح بعدها بصراحة ووضوح أن حركة الاخوان لم تكن سوى وسيلة لبلوغ ابن سعود القوة واستتباب الحكم ..

(وأصبحت حماسة الاخوان الدينية وقوتهم الحربية أداة فعالة في يد ابن سعود ، ومن ذلك الحين فصاعداً .. اتخذت حروبه مظهراً جديداً ، ذلك أنها بعد أن حمل لواءها الاخوان بحميتهم الدينية ، تخلت عن صفتها السابقة كنزاع عائلي على السلطة ، وأصبحت جهاداً دينياً في نظر الاخوان ، على الأقل)

ويضيف :

(كان هذا التجدد الديني يتضمن أكثر من معنى شخصي ، ففي تمسكهم تمسكاً لا يعرف اللين أو المهاودة بتعاليم المصلح العظيم في القرن الثامن عشر .. محمد بن عبد الوهاب ، فان الاخوان ، كثيراً ما كان يستحوذ عليهم شعور مغالى فيه من التقى والورع الشخصيين ، إلا أن ما كان يرغب فيه معظمهم قبل أي شيء آخر ، لم يكن التقى الشخصي فقط ، بل إقامة مجتمع جديد يمكن أن يُدعى إسلامياً بحق ، صحيح أن كثيراً من مفاهيمهم كانت بدائية ، وأن حماستهم الدينية كثيراً ما قاربت الغلو ، ولكنهم لو أتيح لهم إرشاد وتعليم صحيحان ، فان ورعهم الديني العميق كان خليقاً به أن يمكنهم من توسيع أفقهم ، وأن يصبحوا مع الزمن النواة لانبعاث جزيرة العرب كلها انبعاثاً صحيحاً ، اجتماعياً وروحياً ، إلا أن ابن سعود ـــ لسوء الحظ ـــ قد أخفق في إدراك الأهمية الكبرى لمثل هذا التطور ، وبقي قانعاً بتعريف الاخوان إلى أبسط مبادىء الثقافة الدينية والدنيوية ، والحق أنه لم

يعرفهم إلى شيء من هذا إلا بالمقدار الذي بدا ضروريا للحفاظ على حماستهم وغيرتهم . بكلمة أخرى ، لم ير ابن سعود في حركة الاخوان إلا وسيلة لبلوغه القوة واستتباب الحكم ، وفي السنوات التي تلت ، كان مقدراً لهذا الاخفاق أن يرتد و ينكص على سياسته هو بالذات ، وأن يهدد في الصميم وجود المملكة التي بناها بيديه ، ولعل هذا الاخفاق قد أعطى أيضاً الدليل الأول على أنه كان يفتقر إلى العظمة الداخلية التي أصبح شعبه يتوقعها منه ، ولكن خيبة أمل الاخوان في الملك ، وخيبة الملك في الاخوان ، لم تتضح إلا بعد سنوات طويلة) «٥١» ..

العلماء و الاخوان :

إن من تسنى له دراسة حركة الاخوان ، سيجد ــ و بوضوح ــ أن مأساة هذه الحركة ، ومأساة المؤسسة الدينية بشكل عام ، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلاقة التي كانت بينها و بين رجال الدين ..

فالعلماء لم يكونوا صناعاً لها ، وكان مجدهم قد علا بارتباطهم بها ، وإن حُسِب هذا المجد لابن سعود ، لأنهم بقوا على ولائهم له ، وكانوا أداة في يده ، حتى صفيت الحركة بفتاوى منهم أنفسهم ..

مشكلة حركة الاخوان ابتدأت بموت زعيمها ومؤسسها الشيخ عبد الكريم المغربي الذي لم يظهر اسمه قبل استيلاء عبد العزيز عليها .. و بهذا الغياب لم تظهر قيادة دينية بوزنه من رجال الدين ، بل كان المسيطر عليها فيصل الدويش الذي ــ رغم قوته ــ لم يكن بمستوى وقدرة رجل الدين ، وهذا الأمر سهّل على عبد العزيز احتواء الاخوان ..

أما رجال الدين الذين كانوا يعيشون خارج إطار الحركة ، والذين يتوزعون على قرى ومدن نجد ، فكما ذكرنا ، بأنهم وحتى قبل أن يعلن عبد العزيز أوامره بالتحاق كل القبائل بالهجر وتأسيسها على نمط الاخوان ، لم يكن لهم أي دور في تقرير الأوضاع في نجد ، بل لم تكن لهم أية علاقة متميزة مع حاكم نجد « عبد العزيز » ..

وعلى هذا الأساس ، و بصريح العبارة ، لم يكن العلماء الذين انطلقوا من مدنهم وقراهم لاحياء الهجر ، صناعاً أو قادة لها ، بل إن موقعهم الديني

في التوجيه أعطاهم وجهاً قيادياً فوقياً ، بينما بقيت هذه الهجر تحت زعامة الاخوان ذاتهم ، أي فيصل الدو يش ، وغيره ..

هذه القيادة الفوقية للعلماء ، وكونهم ينفذون تعاليم ابن سعود الذي بعثهم للهجر ، ليس فقط وضعهم أنصاراً له على الدوام ، بل وجعلهم يزهدون في هذه الحركة التي لم يخلقوها .

وعلى كل حال ، لم يشعر العلماء أن الاخوان قضيتهم قبل غيرهم .. وأنها منهم وهم منها ، بل كانوا يعتبرون أنفسهم كقيادة دينية فوقية طارئة ومحكومة بمعادلات وتوجيهات ابن سعود ..

وهنا كان مذبح الحركة ..

فحين بدأ الصدام بين الاخوان وعبد العز يز ، كان العلماء ـــ وللأسف الشديد ـــ على الدوام يقفون إلى جانبه ، لأن مصيرهم وقدرتهم مر بوطة به قبل الاخوان ، الذين لم يخب ظنهم في العلماء إلا في السنوات القليلة والأخيرة من عمرهم ، حيث اعتبروهم تبعاً له في كل أمر ، وأنهم مهادنون يخفون الحق .

و بتصفية حركة الاخوان ، تقلّص إلى حد كبير دور رجال الدين ونفوذهم ، لأن من المفترض أن يشكل العلماء والاخوان قوة واحدة ، إلا أن الانفصال الذي حدث .. وتصفية الجناح العسكري ، جعل قوة الجناح الآخر ضعيفة مهزوزة ، لم تستطع مواجهة سيل التغر يب الذي اجتاح البلاد ، فأصبح ابن سعود متحرراً من كل القيود والضغوط التي كان يفرضها عليه الاخوان ، وراح يفعل ما يحلو له دون خوف أو وجل ..

دور العلماء في الهجر والحروب :

بدأ نمو المؤسسة الدينية ودورها في البلاد في عام ١٩١٦ ، حتى بلغ

ذروته في عام ١٩٢٧ م بعد احتلال الحجاز ، ليخفت هذا الدور و ينتهي بانتهاء الاخوان ..

لقد دخل العلماء الساحة بأمر من ابن سعود ، ولم يكن بمبادرة منهم ، حيث دعاهم ضمن مشروعه إلى الذهاب للهجر وتعليم الاخوان ، فعبد العزيز الذي لم ير أية حاجة فيهم ، وجد نفسه مضطراً للتودد إليهم والعطف عليهم وإعانتهم بالمال والهبات ، من أجل أن يكونوا رقماً في المعادلة التي رسمها في ذهنه ، و يشاركوا في إعداد الهجر وإخضاعها له .

وهكذا كان .. فقد توجه عدد من علماء الر ياض والمناطق الأخرى ليقيموا في هذه الهجر ، و يلقنوا المنضو ين تحت لوائها أصول التوحيد على نهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ..

و بهذا التار يخ ، يصعد نجم العلماء .. ذلك أن القيمة الحقيقية في المجتمع النجدي أضحت للعلم والعلماء ، الذين أوكل إليهم تر بية وصناعة الرجال في الهجر ..

وهكذا تحولت الر ياض إلى محل لطلب العلم ، كي تخرج علماء ليفوا بحاجة الهجر التي تزداد وتتوسع يوماً بعد يوم .. ولكنها لم تصل إلى الحال الذي وصلته الدرعية من حيث المكانة العلمية أيام محمد بن عبد الوهاب .

ولما اتخذت حروب ابن سعود صبغة دينية فأسميت بالجهاد ، كان عليه أن يأخذ فتوى العلماء لمحار بة هذا العدو أو ذاك .. والحق أنهم لم يبخلوا عليه بها ولو لمرة واحدة ! ، وكان عليه أيضاً أن يأخذ معه في حملاته عالماً أو أكثر كدليل على هذا التوجه الديني ..

إضافة إلى ذلك .. كان عليه شخصياً ، وعلى أفراد أسرته ، والعاملين معه ، أن يلتزموا بتعاليم الحركة الاخوانية التي هي في الأصل تعاليم الحركة الوهابية ، وإن كان في الظاهر على الأقل ..

كان العلماء ــ إذن ــ على رأس الهجرات ، التي تأسست بالسيف

أولاً حتى تقبل بالاستقرار ، ثم يبدأ معهاتلقينهم العلم الذي يهم عبد العزيز أن يشحنهم به ، والذي يحمل بعداً أحادياً يستفيد منه في دفعهم نحو القتال ..

ويـنقل أمين الريحاني كيف كان السيف يسبق المطوع في التحضير، بهذا النص :

(أجل .. قد حارب البدو وغلبهم كما فعل أجداده ، وأدخلهم في دين التوحيد كما فعل أسلافه ، ولكنه لم يقف عند هذا الحد ، قال .. امسكوا الخونة ، فقالوا .. الفلامنجى ، وها هنا نجوة التجلّي ، فقد تجلت لعبد العزيز الحقيقة التي خفيت على سواه ، وهذه الحقيقة أن البدو لا يثبتون ولا يطيعون ولا يخلصون ، البدو هم بدو ، لأنهم لا يملكون شيئاً من الأرض ، ولا يسكنون بيوتاً ثابته . إذن ، سنعطيهم أرضاً ونساعدهم في بناء البيوت .. سننقلهم من البادية إلى المدينة .. سنقيدهم بالأرض ، ونكبلهم بسلاسل التملك فتنفعهم ، وإذا أذنبوا نستطيع تأديبهم) ..

ويضيف :

(وقد استخدم في التحضير القوة المدنية ، فكان السيف يتقدم المطوع في بعض الأحايين .. أو يتبعه ، كما تقضي الأحوال) «٥٢» ..

ويذكر فيلبي أن مشروع الهجر الذي قلد عبد العزيز هجرة الأرطاوية فيه ، قد بدأ بارسال دعاة ومطوعين ليطوفوا في القبائل يدعون للهجرة ، فانتشرت الفكرة في طول البلاد وعرضها ، وابن سعود الذي بدأ حركة البعث بواسطة دعاته ، وفر لهذه الهجر المعلمين الدينيين والسلاح والذخيرة للدفاع عن ما أسماه العقيدة ، التي لم تكن تعني سوي الحكم .. وكان البرنامج الاصلاحي لهذه الهجر ، نسخة مطابقة لما كانت عليه الأرطاوية ، فأهم الأمور المطروحة ، التخلي عن العادات الجاهلية والقبلية ، التي حتى هذا الوقت لم يكن ابن سعود قد تخلى عنها ، وسيرجع إليها حين يحاربه

الاخوان وبشكل صريح .. كذلك التآخي بين كل الذين يقبلون النظام الجديد بصرف النظر عن قبائلهم وأصولهم الاجتماعية ، وحرم على المتآخين « الاخوان » الغارات القبلية وأعمال النهب وشرب الدخان .

وفي حقيقة الأمر ، كانت هذه المعتقدات لا تخالف .. بل وتتطابق مع ما يعتقده العلماء .. والفارق هو أن هجرة الأرطاوية الأولى التي تأسست بعيداً عن توجهات ابن سعود ، كانت قد سبقت هؤلاء العلماء في التطبيق ، والعلماء بدورهم رحبوا وروجوا لهذه الأفكار ، لأنها أولا .. من صميم معتقداتهم ، وثانيا .. لأن ذلك يعطيهم دوراً في خدمة المجتمع وتوجيهه ، الأمر الذي كان مفقوداً حين كانوا منزوين في المدن ..

أما عبد العزيز فانه خضع لمعتقدات الاخوان ظاهرياً ، وإن كانوا قد أنكروا عليه بعض الممارسات بين الحين والآخر ، وكان خضوعه لها يرجع إلى أن هذه الأفكار لم تكن في غالبيتها تحد من سلطاته السياسية ، وسنرى أنه لم يخضع لما يعتقده الاخوان والعلماء بشأن التعامل مع النصارى مثلاً .. ثم إن هذه الأفكار كانت الأساس في بنيان الهجر ، فكيف لا يرضخ لها وهو الذي يدعو الآخرين لذلك ؟

بيد أن المشكلة الحقيقية التي واجهت الاخوان ، هي تحولهم من حركة تصحيحية يكون الانتماء فيها اختيارياً للفرد الراغب ، إلى حركة يجبر فيها الحاكم كل من هبّ ودبّ ، سواء من اقتنع بها أو من لم يؤمن ..

وفي خضم هذا الاجبار القسري للقبائل على الانتماء لأفكار الاخوان وضرورة ارتباطهم بالأرض ، واجهت الحركة أعداداً من البشر من ذوي الأفكار المختلفة والأهداف المتنافرة ، يصعب تذويبها ، فأصبحت هجرة الأرطاوية في بحر أجاج ، إلا أن الذي خفف الأمر هو وجود العلماء على رأس الهجر ، والذين استطاعوا تذويب القسم الأكبر من هذه القبائل عن طريق التعليم ، وإن كانت ترسبات الماضي القبلية لا زالت عالقة ..

والأمر الثاني ، هو أن أفكار محمد بن عبد الوهاب ، لم تندثر تماماً في نجد بشكل عام ، وكان هذا الأمر مساعداً لأن تقبل هذه القبائل على هذه التعليمات عن عقيدة راسخة بسرعة ، خصوصاً وأنها لم تكن صعبة على الفهم ، وأنها كانت قشرية ..

ووجد عبد العزيز في هذه الأوضاع فرصته لكي يبث الأفكار التي تناسبه ، كما استطاع فيما بعد أن يفصل هذه القبائل عن بعضها البعض ، وبالمنطق القبلي .. وسياسة فرق تسد ، حين يظهر الاخوان كمعارضة له ، وحينها سينقسم الاخوان إلى قسمين ، قسم مع عبد العزيز والذي تربّى معظمه على يد العلماء ، وقسم آخر ضده وهم الذين احتواهم في باديء الأمر ..

من ناحية العلماء الذين دعاهم ابن سعود لتثقيف الهجر الاخوانية ، فان عبد العزيز كان ينتقي الموالين له منهم في مثل هذه المهمات ، ليرسموا الهالات في أذهان الاخوان .. « هؤلاء العلماء المتجولون ينتقيهم ابن سعود من الموالين له » .. « ومن التعاليم التي يرسخها هؤلاء العلماء في أذهان القبائل ، أن الاخوان فقط هم المسلمون الحقيقيون ، وأن بقية المسلمين كفرة وهراطقة » .. وكان العلماء يغرسون أفكاراً مدهشة في عقول الناس عن « الامام الذي سيصبح في المستقبل أباً للشعب وقائداً روحياً وشيخاً في وقت واحد » «٥٣» ..

وحين يتحدث الريحاني عن أفكار الاخوان ، يشير إلى تكفيرهم لغيرهم من المسلمين ، دون أن يتحدث عن دور ابن سعود في ذلك :

(وهم في غلوهم يعتقدون أن من كان خارجاً عن مذهبهم ليس بمسلم ، فيشيرون إلى ذلك في سلامهم بعضهم إلى بعض ــ سلام عليكم يالاخوان ، حيا الله المسلمين ــ) ..

ونحن في الوقت الذي لا يخالجنا فيه الشك من أن ابن سعود استغل

الاعتقاد الخاطيء بتكفير الآخرين ، وأكده في الاخوان كمبرر لشن الحرب على المناطق الأخرى والاستيلاء عليها ، لا يمكننا بأي حال أن ننسب اعتقاد التكفير هذا لعبد العزيز وأنه من صنعه ، ذلك أن العقيدة الوهابية تتبنى هذا الاعتقاد الذي خفت حدّته في السنوات الأخيرة ، فأصبح الاتهام يصل إلى حد الفسق والاشراك بالله سبحانه وتعالى ! .. وعبد العزيز الذي لم يتوان في اتهام الآخرين بالكفر وأنه المسلم وحده ، دفع بالاخوان أكثر وأكثر لتبني هذا الشعار ، لتأخذ احتلالاته طابع الجهاد الديني ، ولذا لم يعلم الاخوان من الدين سوى البدائيات التي تفيده في إبقاء حماستهم للقتال ، والمليئة في آن واحد بالخلط وسوء الفهم .. ولا نجد تعبيراً أفضل مما قاله محمد أسد ، والذي ذكرناه في الصفحات السابقة من أن حماسة الاخوان الدينية (كثيراً ما قاربت الغلو ، ولكنهم لو أتيح لهم إرشاد وتعليم صحيحان ، فان ورعهم الديني العميق كان خليقاً به أن يمكنهم من توسيع أفقهم ، وأن يصبحوا مع الزمن ، النواة لانبعاث جزيرة العرب كلها انبعاثاً صحيحاً ، اجتماعياً وروحياً ، إلا أن ابن سعود لسوء الحظ ، قد أخفق في إدراك الأهمية الكبرى لمثل هذا التطور ، وبقي قانعاً بتعريف الاخوان إلى أبسط مباديء الثقافة الدينية والدنيوية ، والحق أنه لم يعرفهم إلى شيء من هذا إلا بالمقدار الذي بدا ضروريأ للحفاظ على حماستهم وغيرتهم . بكلمة أخرى ، لم ير ابن سعود في حركة الاخوان إلا وسيلة لبلوغه القوة واستتباب الحكم) ..

ومن الثابت ، ليس فقط أن عبد العزيز لم يؤمن بقتال الذين يسميهم بالكفار والمشركين إلا من أجل السيادة والحكم ، بل يتعداه إلى عدم إيمانه بمعتقد الاخوان بعْدم التعامل مع الأجانب ، أضف على ذلك أنه لم يؤمن بفكر تقصير الثوب والشارب وغيرها ، والتي يعتبرها الاخوان من أعمدة أفكارهم التي يميزون بها عن غيرهم ، ويحاربون الآخرين بسببها .

(قيل أنه ــ أي الملك ــ زار مرة محل فيصل الدويش في الأرطاوية ، فحياه مضيفوه بقولهم أن ثوبه كان أطول مما ينبغي ، وجاءوا بمقص فأزالوا منه ما زاد عن الحد المعتاد ، والملك لا يزال مرتدياً للثوب) «٥٤» ..

و « كشك » يعلق على الحادثة ، بأن ابن سعود (لم يكن يمارس التدين بأسلوب متشنج ، أو الاهتمام بالشكليات والمظهرية ، ولكنه أيضاً لم يكن ليثير معركة حول هذه الشكليات ــ ما لم تهدد سلطانه بالطبع ــ .. وعندما احتج فيصل الدويش على طول ثوب الامام ، أعطاه المقص «٥٥» وتركه يقص ما يتجاوز حد الدين .. ولكن لما هدد الدويش النظام قصّ رقبته) «٥٦» ..

فالخضوع للتعاليم كما هو واضح لأنها لم تهدد سلطانه ، أما التعاليم الأخرى التي تتداخل في صميم الحكم ، فانه يضرب بالحديد ..

أما حافظ وهبة مستشار ابن سعود ، فانه طيلة معاصرته للاخوان لم يكن ليجرؤ على مخالفة أفكارهم ، بل رضخ كما المستشارين الآخرين بدون اقتناع ، ولكن لما قضى على الاخوان ، راح يسبهم ويفند أفكارهم التي كان يرضخ لها ، ويعيبهم بها ، بل ويذم العلماء الذين لقنوهم إياها .

(ولقد نال بعضهم ــ أي بعض الاخوان ــ الامام عبد العزيز ، فرموه بموالاة الكفار والتساهل في الدين ، وأنكروا عليه تطويل الثوب والشارب ولبس العقال ، إلى غير ذلك من ضروب الجهالة ، وأصبحوا يحرمون كل ما لا يتفق وهواهم ، وإن سريان هذه الروح المتمردة يرجع إلى هؤلاء الجهلة ، أنصاف المتعلمين الذين انتشروا في قرى الاخوان باسم العلم ، ولقنوهم هذه التعاليم وحببوا إليهم التعصب الذميم) «٥٧» .

وأمين الريحاني شكك في موقف ابن سعود من الاخوان والعلماء ، وأنه يحمل أفكارهم ومعتقداتهم .

(تضاربت الآراء في كثير من الشؤون التي تتعلق به وببلاده ،

خصوصاً في موقفه الحقيقي تجاه الوهابية وأنصارها الأولين المتعصبين ، العلماء والاخوان ، فقد بددت بعض الظلمات على ما أظن ، في تصويري الرجل للقاريء تصويراً صادقاً حقيقياً. وجئت الآن أشعل مصباحاً في زوايا السياسة المذهبية التي كان يخامرني منها بعض الريب .

سألت ذات يوم أحد رجال السلطان الأذكياء أن يصدقني الخبر أو يجهر لي برأيه الخاص ، فقلت : لا أنكر ولا ينكر أحد صدق عقيدة الشيوخ «٥٨» الدينية ، فهو إمام الموحدين ، ولكنني حائر يا صديقي في أمره والاخوان ، فهل تظنه يعتقد أن على الامام أن يحارب المشركين في كل مكان ؟ .. أن يجاهدهم حتى يدينوا ؟ ..

في نيتي أن أسأل عظمته هذا السؤال ، فقال صديقي : لا تفعل ، والذي أراه أن السلطان يعتقد ذلك من الواجب . لم يرضني جواب الرجل ، فتطرقت ذات ليلة إلى الموضوع ، ومما قلت للسلطان على ما أذكر ، أني في حيرة لا يزيلها سواه ، وإذا سافرت من الرياض أحملها ساكتاً لا أكون راضياً عن نفسي ، وقد أسيء إليه فيما أكتب ، فقال عظمته : اسألني كل ما تبغي وأنا أجيبك عليه . ولا أسامحك إذا سافرت من عندنا وفي نفسك حاجة نقضيها أو مسألة نجلي غامضها ، فقلت : هل ترون أنَّ من الواجب الديني محاربة المشركين «٥٩» حتى يدخلوا في دين التوحيد ؟

فأجاب على الفور : لا .. لا .. وضرب الأرض ضربتين بعصاه ثم قال : هذا الحسا ، عندنا هناك أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الشيعة ، وهم يعيشون آمنين لا يتعرض لهم أحد ، إلا أننا نسألهم ألا يكثروا من المظاهرات في احتفالاتهم .. كن مطمئن البال يا أستاذ ، لسنا كما يرانا بعض الناس . فقلت اسمحوا لي بسؤال آخر — وكان يجب أن يكون سؤالي الأول — : هل ترون من الواجب الديني .. وهل ترون من الواجب السياسي أن تحاربوا المشركين حتي يدينوا ؟ .. فأجابني قائلاً : السياسة غير الدين ..

ولكننا أهل نجد لا نبغي شيئاً لا يحلله الدين ، فاذا حلل الدين ما نبغيه فالسياسة التي نتخذها لتحقيقه محللة ، وإذا عجزت السياسة فالحرب ، وكل شيء في الحرب يجوز) «٦٠».

وفسر حافظ وهبه مستشار الملك كلمة « كل شيء في الحرب يجوز » بأن ابن سعود يأخذ بسياسة : « الغاية تبرر الواسطة » ..

ما نستفيده هنا من كلام الريحاني نلخصه في النقاط التاليه :

١ ــ أن اعتقاد ابن سعود بأن من يخالف أهالي نجد فيما يعتقدون ــ كلا أو جزءاً ــ مشركون وتجب محاربتهم ، مقيد بالسياسة ، فاذا وافقت عقيدة أهالي نجد ، طبقها ، وإن خالفتها فان هناك مبرراً وهو أن « السياسة غير الدين » وأن « الغاية تبرر الوسيلة » .

٢ ــ وإذا كان قد حكم على أهالي الأحساء بالشرك ، فما هو موقفه من أهالي حائل الذين لا تختلف ممارستهم عن بقية نجد ؟ .. ولماذا حاربهم باسم الكفر ؟ ..

٣ ــ إن أهالي الأحساء حين جاءهم ابن سعود خالياً من أي عقيدة ، عاهدوه على كتاب الله ، وأن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر ، وأن يتيح لهم الحرية في ممارسة ما يعتقدون ، وافق على ذلك ، فلماذا انقلب على هذا الاتفاق بمجرد أن ظهر الاخوان وعلا مجدهم ، ليسايرهم فيما يريدون بوجوب الضغط عليهم وتحديد حرياتهم الدينية ؟

كل هذا يوصلنا إلى حقيقة ، وهي أن ابن سعود لا يهمه الدين ، ولا قتال من يسميهم المشركين إلا للسيطرة ، ولهذا فهو يحارب الأدنين منه باسم الشرك والكفر ، وأما الانجليز الذين يسيطرون على بقية مناطق الخليج الساحلية والعراق والأردن فهم المسلمون .. ويجوز التعامل معهم !

هذا هو حال عبد العزيز ، وهذا هو موقفه الحقيقي من الاسلام و من معتقدات الأخوان. أما رجاله المقربون وأفراد أسرته ومستشاريه فهم على

شاكلته ، وطباعهم وأفكارهم تختلف عن العلماء والاخوان ، بل إن ممارستهم الدينية لا تخلو من النفاق ، فهم يظهرون الالتزام ، وفي السر يخالفونه و يسبّون و يشتمون .. ولذا اصطدم الاخوان بهم ولقنوهم دروساً في الدين ، واتهموا عبد العزيز بأنه لا يعترض على ممارسات جماعته ..

يقول المانع :

(قبيل وصولي إلى الرياض أول مرة سنة ١٩٢٦م ، جلد الاخوان علناً رئيس الديوان الملكي ، وهو من هو في مكانته ، لمجرد الشك في أنه لم يؤد الصلاة مع الجماعة) «٦١» .. وطبعاً المؤلف هنا يبالغ في الأمر و يضع كلمة « مجرد الشك » للتضخيم .

و يقول عن نفسه كيف أنه لا يلتزم بفتوى علماء نجد ضد الدخان :

(كان من الصعب جداً على قادم جديد مثلي ، غير معتاد على ذلك النوع من التقشف الصارم ، أن يبقى بعيداً عن المشاكل . ولسوء حظي كنت أدخن كثيراً قبل أن آتي إلى الجزيرة العربية ، وكانت رؤية الاخوان لسيجارة في يد إنسان تعني جلده على الأقل ، وكانت السجائر في جدة تباع في السوق السوداء ، و بقليل من الحذر استطعت أن أنغمس في رذيلتي بطريقة سهلة ، لكن الأمور كانت مختلفة تماماً في الرياض حيث كانت عيون الاخوان تترصد في كل مكان ، وحيث كان لا يمكن الحصول على التبغ بأية حال ، وكان لا يزال لديّ قليل من سجائر تمكنت من الحصول عليها من سائق سيارة هندي «٦٢» ، فأخفيتها في إحدى العوارض الخشبية من سقوف القصر ، وأخذت أدخن واحدة كلما شعرت بأن لا أحد حولي ، وعلى الرغم من جهودي في إزالة الدخان .. فان الأنوف الحساسة للعلماء الذين كانوا يعملون في القصر قد اكتشفت الرائحة ، ولم أتخلّص من ذلك الاكتشاف إلا بصعوبة) «٦٣» وتفرد « المانع » بنقل خبر قتل أحد أعضاء الأسرة الحاكمة على يد الاخوان ، لأنه خالف أوامر الشرع ، وإذا كان هذا

الخبـر صحيحاً .. فان الجريمة التى ارتكبها هذا العضو ، كانت كبيرة وثابتة للحد الذي لم يستطع فيه ابن سعود الدفاع عنه ..

(فـقـد قـتـل أحـد هؤلاء رجلاً من أسرته ــ أي من أسرة الملك ــ ذاتها لأنه لم يتمسك بتعاليمها الصارمة) .. على حد قوله «٦٤» ..

ولـما حـاول مستشارو الملك أن يقنعوا العلماء والاخوان بصحة تصرفاتهم لأن ابـن سـعـود ذاتـه يفعلها ، قالوا لهم : لا تتخذوا هذا حجة ، لأننا أنكرنا عـليـه أمـثـالها .. فقبل القضاء على حركة الاخوان بأربع سنوات .. أي في عام ١٩٢٨م ، حدثت هذه الواقعة التي رواها حافظ وهبة كالآتي :

(في سـنـة ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م ، كـنـت مع الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ، كبير علماء نجد ورئيس القضاء الآن ، في زيارة للتفتيش في المدينة المـنـورة ، فنزلنا على ماء في وسط الطريق ، وهناك التقينا بمستر فيلبي وكان آتياً من ينبع ، فبعد التحية دعوته للأكل معنا ، فعندما جلس معنا إلى المائدة سـأل الـشـيـخ : مـن هـذا الـرجـل ؟ .. فـقلت له هذا فيلبي .. فقال : أهو نـصـراني ؟ قلت له نعم ، فقال أعوذ بالله ، أتقوم للنصراني وتصافحه وتهش في وجـهـه وتدعوه للأكل معنا ؟ .. هذا كثير .. فلما سمع مستر فيلبي ذلك قام منعاً للمشاحنة ثم أخذ الشيخ يؤنبني على عملي ..)

ولـما دافـع عـن عمله بأنه يطمع في إسلام الرجل ، وأن الملك عبد العزيز يـقـوم لـفـيـلـبـي ولغيره تأليفاً لهم وكثيراً ما يدعوهم لمائدته ، رد عليه الشيخ بـالـقـول : (المـلـك قـد يـفـعـل الشيء لمصلحة يراها ، وهو غير حجة في عمله وتصرفاته ، وكثيراً ما أنكرنا عليه هذا وأمثاله) «٦٥» ..

ومـن الـواضـح أن ابـن سـعـود قبل القضاء على الاخوان لم يكن ليجاهر بـالـولاء للانجليز ، وكان عليه أن يجد التبريرات لعمله في كل مناسبة ، أما حين قضي عليهم .. فقد راح يجاهر بأكثر من ذلك دون أن يرف له جفن ..

فـفـي عـام ١٩٣٨م وبـعـد القضاء على الاخوان بست سنوات ، زار أحد

المسئولين البريطانيين وزوجته البلاد ، فتعشى معهما الملك وبالغ في ودّهما ..

(ولقد أتى الزائران أخيراً إلى المملكة في سنة ١٩٣٨م ، وبعد عبور الجزيرة العربية زارا مسؤولين مختلفين في شركة الزيت العربية في الظهران «٦٦» ، وكانا قد قاما أولا بزيارة الملك في جدة ، وكانت مناسبة لا تنسى ، إذ كانت « نبيلة أتلون » أول امرأة تحضر مأدبة عربية على مستوى الدولة ، وكانت أيضاً ، أول مرة يتعشى فيها ملك وهابي علناً مع امرأة «٦٧» ..

وكم هو الفارق في الأوضاع قبل مقتل الاخوان وبعده :

كتب هاملتون المقيم السياسي في الكويت ، في ديسمبر ١٩١٨ ــ ربيع أول ١٣٣٧ .. « كان الجميع ضد ذهابنا إلى الأرطاوية ، التي كما قيل لنا تشكل مركزاً متقدماً للطهر المحمدي ، وحيث لا يرحب ــ ليس فقط بالأجانب ــ بل كل الغرباء يوضعون في الحجر لفترات متفاوتة حتى تمتحن سلفيتهم » . وأضاف جون حبيب أن حاكم الأرطاوية الحالي أخبره أن القادمين من الكويت بالذات كانوا يوضعون في هذا الحجر العقائدي قبل السماح لهم بدخول المدينة .. « حتى فيلبي لم يسمح له بزيارة الأرطاوية فاكتفى بمشاهدتها بالتلسكوب قائلا أنه لم يشأ المخاطرة بجلده بالذهاب للأرطاوية ، وقال عنها أنها كانت علامة فاصلة في التاريخ ، فحتى في هذا الوقت المبكر ــ ١٩١٨م/١٣٣٧هـ ــ كانت مرهوبة في طول البلاد وعرضها .. ») «٦٨»

دور الاخوان في بناء دولة ابن سعود :

ليس الغرض هنا إعادة سرد وقائع التاريخ لاثبات أن دولة السعوديين إنما قامت على يد هؤلاء الاخوان .. إلا بالمقدار الذي يبين لنا حجم الدور الديني والمؤسسة الدينية التي كانت مشاركة في البناء ، وليعطي صورة واضحة عن القوة الدينية في ذلك الحين وكيف استغفلت وضربت ..

« لو لم تكن حركة الاخوان لما كان هناك دولة لابن سعود »

هذه الحقيقة أكدها كل من كتب عن تاريخ الجزيرة بدون استثناء ، حتى أولئك المعادون للحركة الاخوانية ، والذين اصطدموا بأفكارها .

وقبل أن نذكر الشواهد حول هذه الحقيقة ، من خلال استعراض بعض من أقوال المؤرخين .. ومن وقائع التاريخ التي خاض الاخوان معاركه ، نوضح هنا رأي ابن سعود في هذه الحركة ودورها :

يذكر الريحاني «٦٩» هذا الحديث لعبد العزيز ، بعد أن أطلق سراح مقاتلي الاخوان الذين سجنوا ثلاثة أشهر لقيامهم بغارة لم يرض عنها :

(كنت في عاصمة نجد يوم أطلق سراحهم ، فأحضروا أمام السلطان فخاطبهم قائلاً .. « لا تظنوا يا إخوان أن لكم قيمة كبيرة عندنا .. لا تظنوا أنكم ساعدتمونا وأننا نحتاج إليكم .. قيمتكم يا إخوان في طاعة الله ثم طاعتنا .. فاذا تجاوزتم ذلك كنتم من المغضوب عليهم ، إي بالله ، ولا تنسوا أن ما من رجل منكم إلا وذبحنا أباه أو أخاه أو ابن عمه .. وما ملكناكم إلا بالسيف .. ترى الصحيح ، والسيف لا يزال بيدنا .. إذا

كنتم يا إخوان لا ترعون حقوق الناس ، لا والله ، لا قيمة لكم عندنا في تجاوزكم ، أنتم عندنا مثل التراب .. أما إذا أعدلتم وعقلتم فحقكم بشرع الله خذوه من هذا الخشم ــ وضرب بالسبابة أنفه ــ وحقّي آخذه منكم دائماً باذن الله .. أنتم ما دخلتم في طاعتنا رغبة ، بل قهراً ، وإني والله أعمل بكم السيف إذا تجاوزتم حدود الله » ..)

وليس المهم هنا البحث عن من يتجاوز حدود الله ، عبد العزيز أم الاخوان ؟ .. وليس المهم أن نعرف ماذا تعني حدود الله بالنسبة لعبد العزيز ؟ .. إنما المهم هو كيف ينظر ابن سعود للاخوان .. فهو لا يعترف بأنه في حاجة إليهم ولمساعدتهم ، ولا يعترف بخضوعهم له على أساس أنه إمام ، بل يعتبر الأساس في ملكه السيف وليس الدين .

أما حقيقة دورهم فيقول عنه الريحاني في « ملوك العرب » «٧٠» :

(الاخوان يحاربون مستبسلين مستشهدين ، روى الناس ــ الموالون منهم والمعادون ــ أخبار الشجاعة والبطولة التي اشتهروا بها ، قالوا أنهم شياطين الدين ، وقالوا أنهم أبطال المسلمين ، وما كانت البطولة بغير الايمان الحي والثبات في الجهاد ، لولا ذلك ما كان الاخوان ، وما كان ملك ابن سعود ، هبت هبوب الجنة .. أين أنت يا باغيها ؟ .. وكل يبغيها . لذلك يحاربون وقلما ينهزمون .. هم شوكة ابن سعود أيام الحرب ، وهم أيام السلم الشوك في غصن الدين ، يحملون سلّم التوحيد بالعرض ، و يزعجون أحيانا حتى سلطانهم العزيز) ..

فهل هؤلاء يساوون التراب .. وأنه لا يحتاجهم ؟!

وفيلبي ــ العميل الانجليزي المعروف ــ ومستشار ابن سعود ، يقول عن الاخوان :

(وقد نجح ابن سعود في حروبه هذه ، وكان مديناً بهذا النجاح إلى قوات الاخوان على الخصوص ، غير أنهم ما لبثوا أن وضعوا سياسته في مأزق

حرج ، عندما أصبحت مسئولياته الدولية تصطدم مع المعتقدات الدينية لرعاياه) .. والفقرة الأخيرة توضح أن ابن سعود يقدم السياسة والحكم على الدين ، فاذا كانت هناك تضحية .. فلتكن بالدين من أجل أن لا تتعرض مسئولياته للخطر ..

و يقول في موقع آخر ، بعد أن صفيت الحركة :

(لقد انتزعت الشوكة من حركة الاخوان الذين لعبوا دوراً بارزاً في خلق النظام الجديد ، ولم يعد بامكانهم تأدية أية خدمة نافعة أخرى) «٧١» ، وهذا الكلام واضح من أنهم خلقوا الحكم السعودي فانتهى دورهم للتصفية ، ولم يكن ابن سعود يهمه أكثر من خلق النظام الجديد !!

ولقد أثنى « كشك » كثيراً على الاخوان ليوصل الأمر إلى النتيجة غير الصحيحة بأن الفضل الذي حصلوا عليه لم يكن ليتم لولا ابن سعود ..

يتحدث « كشك » عن الوضع الجديد الذي تغير بفضل الاخوان فيذكر بعض المدح سطّره ابن سعود للاخوان قبل أن ينقلب عليهم و يتهمهم بالغلو والتشدد :

(والفضل لهذا الوضع الجديد الذي بدأ يفرض نفسه على جميع حقائق الجزيرة وكل القوى التي يعنيه أمرها ، هو ما قاله ابن سعود لفيلبي .. « يجب أن تعلم أنه يكفي أن أصدر النداء ، ليهب للقتال تحت رايتي ألوف من بيشه إلى نجران ، ومن رانية إلى تثليث وغيرها ، ليس فيهم من لا يحب الموت في سبيل العقيدة ، وكلهم يؤمنون بأن الفرار من الزحف يدخلهم النار » ثم يضيف في الحاشية .. « وقال : تسير الآن ورائي جيوش جرارة لا تقل عن أربعمائة ألف مقاتل ، إن بكيت بكوا .. وإن فرحت فرحوا .. وإن أردت نزلوا على إرادتي وأمري .. وإن نهيت انتهوا ، وهؤلاء هم جنود التوحيد إخوان من أطاع الله » ..) . ثم يقر « كشك » بأن إخوان ابن سعود هم أقوى قدرة عسكرية في الجزيرة ، وأنه يستطيع أن يفتح بهم ما

شاء ، و يهزم من شاء .

و يلاحظ المؤرخون أن التفوق في قدرات عبد العز يز العسكر ية على أعدائه من آل الرشيد وحكام الحجاز لم يتم إلا بعد أن انضوى الاخوان تحت لوائه .. ومن ثم أصبحت كل الاحتلالات هم قادتها الأ وائل ، فمن احتل حائل ؟ .. ومن سيطر على نجران وجازان ؟ .. وأخيراً من الذي سلّم الحجاز بأ كملها لابن سعود ، غير الاخوان ؟ .

(لذلك نجد أنه من ١٩٠٢ إلى ١٩١٥ ، وإن كان الخط البياني لصالح ابن سعود ، إلا أن الحرب سجال ، والكفتان تتعادلان ـــ كفة ابن الرشيد وكفة ابن سعود ـــ من البكير ية إلى جراب .. ولكن بعد اتضاح الطابع العقائدي ، والطرح العز يزي للصيغة الوهابية ، حسم الموقف تماماً ، وأصبح الأمر رهيناً بارادة عبد العز يز متى شاء أنهى دولة آل رشيد ، فلما حانت اللحظة المناسبة أنهاها «٧٢» ..

(وكان استيلاء ابن سعود على كل من الحجاز وجبل شمّر بسهولة ، يرجع في الدرجة الأ ولى إلى جهد الاخوان ، ولقد مرّ زمن في أواخر العشر ينات من هذا القرن كانوا يسيطرون فيه على كل جز يرة العرب ، وكان في استطاعتهم أن يضمّوا أي جزء منها إلى دولة ابن سعود لو سألهم أن يقوموا بذلك .) «٧٣»

* * * *

كيف ينظر ابن سعود للعلماء :

كان من الطبيعي أن يتبوأ العلماء موقعاً ر يادياً في قيادة المجتمع النجدي ، كما كان من الطبيعي أن يتعزز موقعهم بظهور حر كة الاخوان ،

وما كان لابن سعود الذي يسعى لتشكيل هجر على نمط الأرطاوية أن يستغني عن خدماتهم ، فقد فُرض عليه أن يتنازل عن جزء ليس باليسير من صلاحياته غير المحدودة كحاكم مطلق ، ومادام يرفع شعار الدين .. فعليه إذن أن يخضع للعلماء الذين أعطاهم الاسلام سلطة فوق سلطته ، فضلا عن أن ممارساتهم العملية لتوجيه الهجر قد زادت من صلاحياتهم ..

في تلك السنوات كان رجل الدين أو المطوّع يزيد سلطانه عن سلطان أمير المنطقة .. أو حاكم البلدة ، وما كان أحدٌ من هؤلاء الأمراء أو الحكام يستطيع أن يواجه أصغر رجل دين أو يصطدم معه ..

أضف إلى ذلك ، تعدت سلطاتهم مجال التوجيه الديني ، وتطبيق حدود الشرع ، وجمع الزكاة والأخماس «٧٤» ، بل كانوا حماة للمدن والقرى ، وحكاماً مطلقي التصرف — في حدود الشرع المفسر على المذهب الحنبلي والرؤية الوهابية — في كل منطقة يتواجدون فيها ، فهم الرقباء وهم الجنود وهم الشرطة ، وهم محصّلوا المال ، وهم الذين يصلون في الناس جماعة ويخطبون فيهم و يوجهونهم .. بمعنى أنهم كانوا كل شيء ..

وقد اصطدمت سلطاتهم الموسعة هذه مع سلطات أمراء المناطق والمدن ، الذين لم يكونوا سوى الواجهة ، وفي أفضل الأحوال يطبقون تعاليم العلماء .. بمعنى أنهم أداة ..

أما عبد العزيز ، فهو في الحقيقة وإن كانت الكلمة له ، لكنه لا يستطيع أن يطبق ما يريد بدون الاعتماد عليهم ، لأنهم — فضلا عن أن الورقة الدينية بيدهم — كانوا شبكة منظمة مترابطة في كل قرية ومدينة .. بيدها كل الأمور .. ولهذا أفاد ابن سعود من هذه الشبكة في بنيان دولته .. فعن طريقهم تكون الدعاية وإثارة الناس ودعوتهم إلى الحرب ، وعن طريقهم تمتلىء خزينته بالمال ..

وما هي دولة ابن سعود بدون هذه الأمور ؟!

لقد كانت سيطرتهم على نجد مطلقة ، أما في الأحساء فان هذه السيطرة محكومة بمعادلات ابن سعود وابن جلوي ، مع أنهم كانوا في حقيقة الأمر أكثر سلطاناً منهما حتى في مثل هذه المنطقة الشديدة الخصوصية والحساسية ..

فعبد الله بن جلوي حاكم الأحساء ، لا يمكن أن يشهد له بحبّه للاخوان والعلماء ، وهو الذي نصح ابن سعود بعدم تبني الاخوان .. لأنها نار تلتهم كل من يقترب منها .. كما لا يمكن أن يشهد له بالالتزام الديني والخضوع لحكم الشرع ، ولا يمكن أيضاً أن يشهد له بغير الديكتاتورية والفردية ، وحبّه العظيم للتسلط والخروج عن القيود والموازين الشرعية ..

يقول حافظ وهبة :

(وكان أشد الناس على الاخوان ، المرحوم الأمير عبد الله بن جلوي حاكم منطقة الأحساء ، فكثيراً ما سمعته يقرع رؤساء بني خالد وآل مرة والعجمان على شدّتهم وغلوهم ، و يقول : إن حالتهم الأولى على ما فيها من شرور .. خير من حالتهم هذه ، وأن الدين ليس في العمائم) «٧٥» ..

مع هذا رضخ ابن جلوي للاخوان والعلماء بناءاً على أمر ابن سعود ، ولهذا ــ وفي عزّ سيطرة الاخوان وقوتهم ــ نرى أن كل القرى والمدن التابعة للأحساء والقطيف .. والتي في أغلبيتها شيعية ، يوجد فيها مطوّع ، يصلّي بهم جماعة ، و يأخذ منهم زكاة أموالهم .. حتى علماء الشيعة وكبار فقهائها في الأحساء اضطروا لمسايرة المطاوعة ، مادام السيف ــ سيف ابن جلوي ــ مصلتاً على رؤوسهم .. وهكذا اختفت اتفاقات أهالي الأحساء مع ابن سعود والمتعلقة بالحريات الدينية ، وأصبحت تمارس تحت الأرض وفي جنح الظلام ..

في اجتماعات مؤتمر العقير عام ١٩٢٢ ، تحدث ابن سعود مع ديكسون ، وحاول الدعاية لنفسه بأنه وقف ضد متطرفي الاخوان الذين قتلوا عدداً من الشيعة ، وفي حديثه هذا يتوضح لنا سياسته وموقفه من الاخوان والشيعة

الذي لا يؤيد كليهما ولا يهمه من معتقداتهما إلا بما يتصل بحكمه ..

(حرص ابن سعود على الدعاية لنفسه في اجتماعات المؤتمر ، فقد ذكر لديكسون أنه لا يشجع ما يقوم به متطرفو الاخوان من غارات ، ولكنه لا يستطيع إيقافهم ، وأنه في صيف هذا العام اضطر إلى أن يصدر أوامر باعدام بعض منهم لعدم إطاعتهم أوامره ، وأن الاخوان قتلوا الكثيرين من البحارنة الشيعة الذين يقطنون القطيف ، ولكنه استطاع أن يسيطر على الموقف تماماً حتى أصبح مسموحاً للشيعة بالتدخين وممارسة شعائرهم الدينية في أماكنهم الخاصة ، طالما أبقوا على النظام في الأماكن العامة «٧٦» ..) «٧٧» ..

فالابقاء على النظام « الحكم » هو المهم ، وهو ذات الأمر الذي قاله ابن سعود لأمين الريحاني : (هذا الحسا ، عندنا هناك أكثر من ثلاثين ألفاً من أهل الشيعة ، وهم يعيشون آمنين لا يتعرض لهم ، إلاّ أنا نسألهم ألا يكثروا من المظاهرات في احتفالاتهم) .. لأن الاكثار يثير حفيظة الاخوان والعلماء ، الأمر الذي يستتبعه ضغوطهم عليه .. ولا شك أن القليل مما أسماه المظاهرات ، لم يكن موجوداً في تلك السنين الخوالي ، بل كان معدوماً .

على أية حال .. كان ابن سعود ينظر إلى العلماء كقوة تابعة له يستطيع أن يضرب بها أعداءه متى شاء وأنّى شاء ، ولم يكن بمقدوره التفريط بهذه القوة لأن شرعيته الدينية تقوم عليهم ..

أما سياسته تجاههم فيمكن تحديدها بالنقاط التالية :

١ ــ منع الاصطدام وتجنبه معهم بأي شكل كان ..

٢ ــ التودد إليهم وإظهار العطف والعون ، ودعمهم بالمال والمساعدات والهدايا ..

٣ ــ تقليص صلاحياتهم الدينية والسياسية والاجتماعية وحصرها في الجوانب القشرية ، وفصلهم عن المجتمع وقطع تأثيراتهم عنه ..

٤ ــ تلبية طلباتهم في المجالات الهامشية التي لا علاقة لها بالسياسة ، وغير الضارة للحكم .

٥ ــ سماع رأيهم والتظاهر بالتقوى والصلاح وخدمة الدين ، وعدم التجاهر بموالاة الأجانب .

وهذه السياسة سيطبقها ــ و بصورة أخف كثيراً ــ أبناء ابن سعود في علاقاتهم الماضية والحالية مع رجال الدين .

إن عدم الاصطدام بالعلماء والاخوان .. وعدم إثارة حفيظتهم ، كان أمراً بالغ الصعوبة ، فأشد ما يكره هؤلاء هم الأجانب الذين لا تخفي أهدافهم عنهم .. ولهذا السبب وجدنا أن كل المعاهدات التي وقعها ابن سعود مع الانجليز كانت سر ية وغير ظاهرة للعلماء .. وكانت كلها قد وقعت بعيداً عن نجد ، مركز الاخوان والعلماء .. وهذا جدول عن الأماكن التي وقعت فيها المعاهدات وتاريخها :

اسم المعاهدة	تاريخها	موقع التوقيع
معاهدة دارين	١٩١٥/١٢/٢٦م	دار ين الواقعة على الخليج والقر يبة من القطيف
لقاء العقير	١٩١٦/١١/١١م	تم في العقير بين كوكس وابن سعود و بحث فيه دعم الأخير ضد ابن الرشيد
مؤتمر الكويت	١٩١٦/١١/٢٠م	الكو يت ، حيث قلده كوكس وسام الانجليز و بعدها زار ابن سعود القاعدة البر يطانية الجو ية في البصرة
لقاء العقير	١٩٢٠م	تم في العقير بين كوكس وابن سعود ، لبحث الدعم الانجليزي المطلوب ، لازالة ابن الرشيد
معاهدة المحمرة	١٩٢٢/٥/٥م	المحمرة التي هي الآن إحدى المدن الايرانية
اتفاقية العقير	١٩٢٢/١٢/٢م	العقير، الميناء الواقع على الخليج
اتفاقية بحرة	١٩٢٥/١١/١م	بحرة ، القر يبة من جدة
اتفاقية جدة	١٩٢٧/٥/٢٠م	جدة
اجتماع في الخليج	١٩٣٠/٢/٢٢م	قر يباً من الكويت ، وعلى الباخرة الانجليز ية لوبن حيث اجتمع مع فيصل حاكم العراق تحت الرعاية الانجليز ية

إن حقيقة الاتصالات والمعاهدات بين الانجليز وابن سعود ، لم يكن للعلماء أدنى اطلاع عليها ، ولم يعلموا بها إلا بعد أن سطرت في الكتب .. واستقر عرش الملك ، وهذا ما يفسر الصمت الديني تجاه هذه المعاهدات ، لأنه محكوم بعدم العلم ..

الأمر الذي كانوا يعلمونه ، هو وجود بعض المستشارين الانجليز في بلاط ابن سعود ، وقد عبر العلماء والاخوان عن مواقفهم تجاههم ، وكان ابن سعود ومستشاروه الانجليز في حرج شديد ، فليس هناك مبرر لوجودهم يمكن أن يقنعهم به .

وبداية تواجد هؤلاء المستشارين ، قدوم الكابتن شكسبير الذي كان وكيلا سياسياً في الكويت إلى الرياض ممثلا لأسياده في بلاط ابن سعود .. وكانت مهمته المحددة توقيع اتفاق حماية ومساعدة لابن سعود ، مقابل عونه لهم في إقناع عشائر المنتفق في العراق للقبول والتعاون مع الانجليز الذين احتلوا البصرة حديثاً ، فوافق ابن سعود على ذلك كما وافق على معاونة الانجليز لاخراج القوات التركية من شمال البصرة .. بل ومن العراق كله ..

(أوفد السير برسي كوكس ـ الذي أصبح في ذلك الوقت يشغل منصب الضابط السياسي لقوات حملة العراق ـ الكولونيل شكسبير الوكيل البريطاني في الكويت للقيام برحلة داخل الجزيرة العربية ، بهدف الاتصال بالأمير عبد العزيز ، وذلك للحصول على ضمانات وديّة لصالح الحلفاء ، ولكي يمثل في نفس الوقت مصالح بريطانيا في الرياض ، وقد رأى الانجليز أن ابن سعود قد يكون ذا فائدة كبيرة بالنسبة إليهم في أثناء احتلالهم للبصرة ، إذ باستطاعته أن يجعل قبائل شمّر .. ورئيسها ابن الرشيد ، والمنتفق .. ورئيسها عجمي السعدون ، مضطرة للبقاء على الحياد بدلا من تهديدها الجناح الأيسر للجيوش البريطانية عند تقدمها من الفاو

إلى الشمال ، وكان شكسبير سفيراً مثالياً ذا ثقافة عسكرية وإدراك وبداهة سياسية في تعامله مع العرب ، كما كان مبعوثاً إلهياً لابن سعود ، وربما كان خطؤه الوحيد في نظر فيلبي أنه لم « يتنازل » في ارتداء الملابس العربية أثناء وجوده بين ظهراني البدو في الجزيرة العربية) «٧٨» .

وأثناء وجود شكسبير في بلاط ابن سعود ، استعد ابن الرشيد لمهاجمة عدوه والاسراع في ذلك ، لأن الدولة العثمانية تأكد لديها أن ابن سعود يستعد لمعاونة أعدائها الانجليز ، ويخرب عليها خططها العسكرية في العراق والشام والحجاز .. وقبل بدء المعارك ، وحين وصلت قوات آل الرشيد حدود الرياض ، طلب ابن سعود الصلح .. فلم يقبل ابن الرشيد ذلك ، حيث رأى فيه أنه يعطي فرصة لعدوه في التزود والاستعداد لمحاربته بدعم الأجانب ..

وهكذا جمع ابن سعود جموعه الذين كان قسم منهم بدواً .. والآخر من الاخوان الذين يخوضون أول معركة لهم مع ابن سعود ، والذين لا تزال قواهم العسكرية في طور النمو ..

بدأت المعركة التي سميت بمعركة « جراب » في السابع من ربيع الأول ١٣٣٣هـ ، الموافق ٢٤ يناير ١٩١٥م .. وقد رافق ابن سعود في المعركة شكسبير ، الذي لم يكن عبد العزيز يحبذ وجوده معه خوفاً من إثارة جنده « الاخوان » ، خصوصاً وأن تذمر أهالي الرياض وعلمائها من وجود شكسبير في ديارهم كان واضحاً ..

وبالفعل تذمر الاخوان من وجوده معهم ، ولما دارت المعارك ، انهزم ابن سعود ، وقتل شكسبير الذي كان يدير مدفعاً ضد ابن الرشيد «٧٩» ، ويعتقد لكثيرون أن الاخوان هم الذين قتلوه أثناء فوضى الهزيمة والتراجع ..

يقول « كشك » «٨٠» :

(وقد حاول عبد العزيز بكل جهده أن يمنع شكسبير من الاشتراك في

المعركة ، فقد كان كما قال الريحاني ، هدفاً مثيراً شديد الاغراء ، ببرنيطته وملابسه الافرنجية ، وكان ابن سعود يعرف ذلك ، ولا شك أنه سمع انتقاداً عنيفاً ، أو على الأقل ضيقاً شديداً من جانب الاخوان الذين كانوا قد بدأوا بالظهور كقوة ذات صوت مسموع .. وهناك واقعة تشير إلى مدى التوتر الذي كان يحدثه ظهور « خواجه » في بلاط ابن سعود ، فقد قرأ الامام « يقال أنه كان الشيخ عبد الله العنقري » في الصلاة معرضاً بتعامل عبد العزيز مع الكفار :

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من ولي ولا نصير » ..

فلما فرغوا من الصلاة ، هجم عبد العزيز على الامام وأطبق على عنقه وراح يتلو بصوت مرتفع :

« قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين » .

أما كيف مات شكسبير .. وعلى يد الاخوان أو يد قبائل شمّر أو العجمان الذين غدروا به ، فكما قال التقرير البريطاني سيبقى لغزاً إلى الأبد ، وهي عبارة توحي وحدها بشكوك الانجليز .. فليس هناك لغز في من قتل في معركة بمثل ضراوة يوم « جراب » ولكن التقارير البريطانية تلمح إلى شيء ، فتارة تقول أنه قد ترك جريحاً في معسكر ابن سعود حتى أجهز عليه العدو ، وتارة تقول أنه قتل أثناء « الفوضى » التي حدثت ، وكلها تؤكد الشك في ظروف مقتله ..) ..

هذا هو موقف الاخوان وموقف العلماء من التعامل مع الانجليز ، والذين فهموا من التعامل والموالاة بعداً عن الدين ومضرة للوطن ، ولهذا قتلوا

شكسبير رغم أنه يحارب في معسكرهم ضد حائل الموالين للترك .. أما فهم ابن سعود بأن موالاة الانجليز لا تعني مضرة للدين ، وأنه بمقدار تعلقه بهم لا يزداد بعداً عن الاسلام ، فغير مقبول .. وسيكون هذا التعامل من دوافع ثورة الاخوان عليه ..

إذا كان هذا هو موقفهم من شكسبير ، فكيف به سيكون لو أنهم اطلعوا على المعاهدات و الاتفاقيات ؟ .. ذلك هو السؤال !

ولا شك أن مصادمات الاخوان والعلماء كانت في معظمها حول التعامل مع الانجليز ، وقد رفض الاخوان قتال أهل حائل حين رافقهم فيلبي « خليفة شكسبير » في الحملة عليها عام ١٩١٨م .

وتعامل الاخوان مع فيلبي ومرافقيه يسلط الأضواء على حقيقة التناقض بين ابن سعود و بينهم ، و بين ولاء الأخير للانجليز و ولائهم للاسلام ..

فقد ذكر فيلبي بأنه كان واضحاً أن وجوده في الر ياض يحتاج إلى توضيح مستمر لجمهور معاد ومنتقد ، فكان ابن سعود يؤكد للعناصر الوهابية المتشددة بأن إقامته ــ وإن طالت ــ إلا أنها مؤقتة وضرور ية بسبب موقف الأشراف والحصار من حوله ، ولذا فهو مضطر لكي يكون على اتصال بالحكومة البر يطانية ..

اثنتا عشرة سنة مرت على قدوم فيلبي للبلاد كان يقابله أهلها بالامتعاض ، والملك ، بين الفينة والأخرى يحاول عبثاً إقناع الاخوان والعلماء بضرورة بقائه ، وخلال هذه السنوات طرح عليه ابن سعود الاسلام ، وأن يسلم ولو ظاهر ياً .. تحاشياً لا ثارة شعبه والاخوان بشكل خاص الذين بدأوا في عام ١٩٢٧ يميلون للثورة المسلحة ضد الملك ، لأنه عميل للانجليز ــ ودليل ذلك فيلبي ــ ، ولأنه متساهل في الدين .. لكن فيلبي رفض ذلك ، حتى عام ١٩٣٠ رفض فيلبي إعلان إسلامه ولو ظاهر ياً ، ولكن حين تصاعدت النقمة ضد ابن سعود و بدأت ثورة

الاخوان ، أعلن الأول إسلامه الذي لم يصدقه فيه أحد .. بالرغم من محاولة ابن سعود إشهار إسلامه على الملأ ، وعين فيما بعد كبير آل الشيخ لتعليمه أصول الدين والعقيدة ، لكن ذلك لم يغير من واقع الحال شيئاً ..

كان الملك بحاجة دائمة لأن يكون فيلبي إلى جانبه ، ولم يكن هذا الأخير ـ لمسيحيته ـ يستطيع أن يكون مع الملك دائماً ، لا في مكة والمدينة فحسب .. بل وحتى في الرياض ، وكانت لقاءات الملك معه ثنائية وسرية في غالبها ـ حتى على مستشاريه ـ .. وقد يكون هذا عاملاً مساعداً لأن يعلن إسلامه ليتخلص من المضايقات ..

يقول المانع :

(حينما كان الملك ورجال ديوانه في الحجاز لأداء فريضة الحج سنة ١٩٢٧م ، كان واضحاً أن فيلبي قد أدرك بأن كونه مسيحياً يجعل من الصعب عليه أن ينغمس في حركة البلاد كما كان يود ، وكان غير قادر بطبيعة الحال على زيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة «٨١» ، كما كان من غير اليسير عليه أن يتجول في أنحاء المملكة ، وكان لا يرى خلال موسم الحج إلا في جدة ، وكنت حاضراً حين ناقش هذا الموضوع مع جلالته ، فقال له الملك بأنه إن أصبح مسلماً فسيجد ترحيباً وسيصحبه في أسفاره بما فيها الحج إلى مكة المكرمة ، ومن الواضح أن ذلك إقتراح جذاب إلى أقصى الحدود ، لكن فيلبي مع ذلك أبدى نوعاً من التردد حياله وقال « رغم أني شخصياً قد أكون مستعداً أن أفعل ذلك ، إلا أني لابد أن أستشير زوجتي في الأمر » . ثم أخبر الملك فيما بعد بأنه رغم استعداده للنظر في اعتناق الاسلام لم يستطع أن يفعل ذلك لأن زوجته لم تكن مرتاحة للفكرة ، فعرض الملك عليه أن يدفع إليها أربعين ألف جنيه استرليني «٨٢» مقابل طلاق زوجها ، لكن فيلبي أجاب إجابة مؤدبة مشيراً إلى أنه **لا** يعتقد بأن زوجته مستعدة لبيعه لقاء ذلك الثمن ، مع أني لا أعلم إن كان قد حاول ذلك معها على الاطلاق

.. ولا شك في أن الملك كان جاداً في عرضه الذي يوضح أن جلالته قد أصبح يقدر مشورة فيلبي ونصائحه تقديراً كثيراً «٨٣» ..

وحين حج الملك سنة ١٩٣٠م ، إتضح أن نور الاسلام قد طلع أخيراً على فيلبي ، ولم يكن حينذاك مستعداً للنظر في اعتناق الاسلام فحسب .. بل حريصاً على أن ينضوي تحت لواء الأخوة الاسلامية ، فأعلن إسلامه ، وتسمى بعبد الله بناء على اقتراح الملك ، وبعد ذلك أصبح يعرف باسم الشيخ عبد الله فيلبي .. وكان جلالته قد رتب أن يحضر عالم ، إسلام فيلبي في المحكمة الشرعية ، وهناك أعلن رسمياً إيمانه بأركان الاسلام الخمسة أمام القاضي وشاهدين ، وأعطاه ذلك القاضي شهادة بأنه قد أصبح مسلماً ، ثم حدث أصعب امتحان لايمانه .. وهو الختان ، الذي كان عملية بالغة الايلام لرجل بالغ ، وبعد ذلك أخذ إلى المسجد ليؤدي أول صلاة لله و يشكره على هدايته ، ومن هناك ذهب إلى مكة المكرمة ليصلي في المسجد الحرام .

وبعد دخول فيلبي في الاسلام أخذ فوراً إلى الطائف ، البلدة اللطيفة الواقعة في منطقة الجبال الباردة شرق مكة ، واستراح هناك شهر ين شفي خلالهما من آثار الختان وتعلم أصول العقيدة الاسلامية على يدي عالم عيّنه الملك نفسه لهذا الغرض ، ولم يكن ذلك العالم سوى محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، الذي كان أشهر عالم في المملكة وأحد أحفاد محمد بن عبد الوهاب نفسه ، وقد اعتبر فيلبي هذا شرفاً عظيماً له ، وسرّ الملك لاعتقاده ذلك . وعلى أية حال فان جلالته ــ بحصافته المعهوده ــ كان حريصاً على أن لا يصبح من كان مسيحياً مستشاراً له ومرافقاً إلى الأماكن المقدسة إلا إذا تأكد لدى كل إنسان بأن اعتناقه للاسلام كان واضحاً ، وأن معرفته بالعقيدة الاسلامية كانت عالية)

و يضيف المانع :

(وكـان هنـاك دائـمـاً بـعـض الـشـك في مدى صدق فيلبي في اعتناقه للاسـلام ، ولـست أظن بأنه كان لديه اقتناع ديني قوي جداً ، لكنني أعتقد بـأنه كانت لديه رغبة عميقة في أن يكون قريباً من الملك والشعب العربي ، فقرر أن لا يدع قضية الدين تقف في طريقه ..

وبـعـد أن اعـتـنق فيلبي الاسلام ارتدى الملابس العربية ، كما استفاد مـن الـنظام الاسلامي بالزواج من فتاة عربية أنجبت له ابنين ، وأصبح يزور الملك بـاسـتـمـرار في كـل مـن الـريـاض ومكة المكرمة ، وبطبيعة الحال برّ جـلالـتـه بوعده له في أن يصطحبه في كثير من رحلاته ، وصار فيلبي بجسمه المـمـتلىء ووجـهـه الملتحي مشهداً مألوفاً لدى رجال الديوان ، كما كان ممن يحضر بانتظام مجلس الملك العام والخاص ..) «٨٤» ..

مـع هـذا التظاهر بالاسلام يقر « المانع » بأن فيلبي يعمل لمصالح بلاده الـعليا ، وأن جلساته مع الملك كانت خاصة وسرية ، مما يلقي بعض الضوء على مهمته الموكولة إليه ..

(ولا بـد لي مـن أن أؤكـد هنا بأني لا أعرف تماماً ماذا كان يحدث بين الملك وفيلبي خلال محادثاتهما الخاصة ، لكن لعملي في الديوان كنت بطبيعة الحال أسمع بعض التقارير عن هذه المحادثات من الحاضرين لها أحياناً .

وعلى أيـة حـال ، فـمـع أنـه لا يوجد من يشك في إخلاص فيلبي وولائه لـلـمـلـك ، فـمـن الواضح أنه كان يعمل أيضاً من أجل المصالح العليا لبلاده الأصلية) «٨٥» ، بمعنى أنه بقي رغم إسلامه رجل مخابرات يعمل لبلاده أولاً وأخيراً ..

بتصفية الاخوان ، لم نستطع أن نتلمس ردود فعل العلماء والأهالي تجاه فيلبي والأجانب الآخرين .. فقد انقطعت الذبذبات المرسلة ، وتغيّر الوضع كـلية ، حيث ازداد عدد الأجانب في البلاد ، لأن المدافعين توسدوا الثرى ، ولـعـلـه كان ينظر حينها لفيلبي أو كما يحلو لابن سعود تسميته ، الشيخ عبد

الله ، على أنه أجنبي كالأجانب الآخرين ، وليس الفرد المتميز بوجوده كما كان سابقاً .. أي أنه لم يعد الخروف الأسود في القطيع الأبيض ..

إلا أن المؤكد أن العلماء والأهالي يعرفون مهمة فيلبي وعدم صدق إسلامه .. وإن كان رد الفعل ضعيفاً ، بدليل أنه بعد عام من إشهار إسلامه « ١٩٣١م » جاء عدد من رجال الدين لابن سعود معترضين على إنشاء محطات لاسلكية في المدن الكبرى من البلاد ، لأن ذلك يساعد الانجليز في تسلطهم على المسلمين ، ثم قالوا له : إن فيلبي سيجر علينا المصائب ، ونخشى أن يسلم بلادنا للانجليز .. ، وقد اعترض الملك بالطبع على كلامهم ورفض مناقشة أي موضوع بهذا الخصوص الآن أو مستقبلا .. فعدم الثقة بفيلبي وإسلامه وإخلاصه موجود إلى أن مات .

وهذه مشاعر الاخوان تجاه فيلبي والانجليز والمتعاونين معهم ..

لقد عاش فيلبي (أياماً قاسية خلال مهمته «٨٦» في بلاد ابن سعود ، أذاقه الاخوان فيها ذل الكافرين على يد المؤمنين ، حتى وإن كان الكافر ممثل بريطانيا العظمى .. والذي يدفع الاعانة الشهرية لحكومتهم ويلح في طلب الحملة على ابن رشيد . ومع ذلك فقد سمعهم يتناقشون في جلساتهم .. « مارأيكم دام الله فضلكم في جواز السلام — ليس على الكافر — فهذه مفروغ منها ، بل على من يتعاملون معه من موظفي الحكومة ؟!) «٨٧» ..

مرة كان اثنان من الاخوان يمران أمام الخيمة ، فرأيا « مناوراً » — مرافقه — جالساً .. فسأل أحدهما الآخر .. هل يجوز السلام عليه ؟ .. فرد الثاني ، لا .. حوّل وجهك الناحية الأخرى ، إنه من جماعة الانجليزي ..

ومرة أخرى مرّ « مناور » بخيمة إخوان فطلب جرعة ماء فقيل له ، لا .. أنت مشرك وخادم مشرك .. قال مناور .. لم أحضر هنا لمناقشة هذا الأمر .. أطلب جرعة ماء .. أعطوني جرعة ماء .. ولان الاخوان بحنان المسلم ، وربما تذكروا حديث الكلب فأعطوه الماء ليشرب ، ولكن فيلبي

يزعم أن خادمه كان فاجراً ، فما إن شرب حتى هتف بهم ، لقد شربت من إبريقكم ، وأنا قادم لتوي من حيث كنت قد غمست يدي في نفس طبق الأرز مع الانجليزي ، فيحسن بكم أن تكسروا الابريق لأنه نجس .. وانطلق هارباً تطارده لعناتهم ..

ومعظم رجال ابن سعود كانت عواطفهم ضد فيلبي ووجوده ، فحيثما تجول وحيداً كانوا يعبرون له عن ضيقهم بوجوده معهم ، فلا أحد من الاخوان يرد عليه سلامه ، وبعضهم كان يغطي وجهه ، لكي لا تقع عيناه عليه ، وأحدهم جزّ على أسنانه وقال له ، أشهد الله على كراهيتي لك ..

وسمع اثنين يتحدثان عنه قال أحدهما ، أين هو؟ .. أنا لم أر أحداً ببرنيطة ، فردّ الثاني .. إنه يلبس كالعرب ، ولما اقتربا من أحد الخيام صاح أحدهما « ليش تجيب ها الكافر يمنا » .. فرد أحد كبار الموظفين « أذكر الله .. » .. ولكن الأخ لم يخف بل صاح .. لا إله إلا الله !

ودخل خيمة فيلبي ، أخ دون أن يدري وظل يتحدث مع مرافقه العربي .. فلما خرج وأحاط به الاخوان يسألونه لماذا دخل خيمة الانجليزي ؟ .. لم يجد ما يكفر به عن خطئه إلا أن استدار وبصق في اتجاه فيلبي) «٨٨» ..

من الطبيعي أن أناساً بهذه العقيدة والنفسية العزيزة ، سيصطدمون مع ابن سعود ، وقد اصطدموا به فعلا في مواقع عدة قبل إعلان الثورة ضده .. وللتخفيف من حدة التصادم ، حرص ابن سعود أن يكون حرسه الشخصي وحرس وخدام الأجانب الذين يزورونه ، من غير الملتزمين ..

وهذا ما يفسر قول الريحاني في تقسيمه للاخوان ، وحسن استفادة ابن سعود منهم « المعتدل للخدمة ــ أي للخدمة عنده ــ فهولا يستطيع أن يكون مطوقاً بالملتزمين ، والمتساهل للتجارة ــ أي الذي ليس همّه القتال والسلاح ــ ، والمجنون للقتال ــ أي الصادق والمؤمن الذي يقاتل عن عقيدة ــ »

ويحكي الريحاني حادثتين كانتا له مع الاخوان ، يتوضح فيهما نوع مرافقيه الذين يختارهم السلطان له من القسم المعتدل « !! » كما قال :

الأولى : حينما كان عائداً من الرياض إلى الكويت ، حيث مرّ بالعينية وهي خربة نبت الشوك في كل ربوعها ، فالتقى بثلاثة من الاخوان سلموا عليه وعلى رفاقه المختارين ، ثم بعد ذلك طلبوا ردّ السلام .. بمعنى أنهم تندموا على السلام عليهم لأنهم ليسوا أهلاً ، وطلبوا استرداد السلام ، وكأنه استرداد لشيء ثمين أعطوهم إياه ..

(ومثل الطلح والسلم « نوعان من الشجر الصحراوي » في الأخربة ، هؤلاء الاخوان في الدين ، هناك ثلاثة ذاهبون إلى الرياض « ليقروا » ـــ ليتعلموا القرآن والحديث ـــ ، سلموا علينا فرددنا السلام ، وراح « هذلول » ـــ مرافق الريحاني ـــ يحدثهم ليستطلع « علومهم » (أخبارهم) .. ثم سمعنا واحداً منهم يقول ، ردوا لنا سلامنا . وسمعنا « هذلولا » وقد أدبر بذلوله يصيح .. سلامكم رد عليكم ، ثم أشعل السبيل ، فسألته الخبر فقال وهو يضحك و يدخن « بدو جهّال ، سلّموا علينا ثم ندموا على السلام .. سألوني عنك فقلت سوري جاء يتاجر بالبُل ـــ أي الابل ـــ فما صدقوا ، وقال أحدهم هو انكليزي كافر «٨٩» ، ردّوا لنا سلامنا فرددتهم وسلامهم إلى الجحيم »

فضحك العجماني « بدّاح » « مرافق آخر له » ضحكته العريضة الفضفاضة ، وراح يدرهم و يغني) «٩٠» .

الحكاية الثانية التي يوردها الريحاني ، قصة أحد الاخوان ، كان يمتلك بعيراً اكتراه منه أحد خدّام الملك ، الذي كان يريد السفر مع قافلة الريحاني ، فاضطر « نوار » إلى مرافقتهم ، وهناك اكتشف أن خدام الملك والمقربين منه من الحاشية من أبعد الناس عن الاخوان فكراً وممارسة ..

يقول الريحاني :

(هو ذا « نوّار » أقدمه مثلاً قويماً كريماً ، وما « نوّار » غير راعي بعير اكتراه منه شاب كان في خدمة السلطان ليسافر إلى القصيم ، كنا يومئذ على أهبة الرحيل ، فأراد الشاب أن يواخينا فقبلنا ، فخرج راكباً معنا من الرياض ، و « نوّار » صاحب الذلول يمشي أمامه أو وراءه ، وكان في بعض الأحايين عندما يتعب يثب إلى الرحل رديفاً ، ثم يترجل مستعيذاً بالله ، ذلك لأن الشاب الذي أكراه بعيره هو « إزكرت » «٩١» يدخن و يغني ، والغناء في نجد اليوم محظور ، وفي بعض مدن العارض والقرى الجديدة — الهجر — محرم مثل الدخان . أما الزكرت فكان يرفع عقيرته كلما خرجنا من قرية وصرنا في الفلاة ، فيتلو إذ ذاك « نوار » التعويذتين ، وعندما رآه لأول مرة يشعل السبيل كاد يجن ، كان ذلوله ماشياً إلى جنب ذلولي ، وكان « نوّار » وقتئذ رديفه ، فوثب فجأة إلى الأرض كأن ناراً أشعلت تحته وهو يردد بصوت عال « أعوذ برب الفلق من شر ما خلق .. أجرنا اللهم من النار .. أجرنا اللهم من النار » والزكرت أثناء ذلك والربع كلهم يضحكون .

كان الأخ « نوّار » مع ذلك لطيفاً وذا مروءة تشكر ، فيعاون الخدم ، ويرعى الركائب عند المراح ، ويجمع الحطب و يشبّ النار ، ولا يأكل إلا قليلا . رافقنا هذا البشر الغريب ، آخانا كرهاً عشرة أيام ، وما من مرة سلم عليّ أو كلّمني أو ردّ سلامي . مرضت أثناء السفر بالحمى فكنت ذات يوم على الفراش في خيمتي و « نوار » واقف اتفاقاً في الباب ، فقلت مازحاً .. بل كنت أضايقه عمداً : يا « نوار » أنا « مصخّن » « أي مريض » اليوم ، فمال بوجهه إليّ هاتفاً .. والحمد لله ! ، كانت عصاي طوع يدي قرب السرير فرميته بها لما ظننته منه وقاحة .. بل وحشية ، فأصابت منه الرأس ولكنها لم تحرك اللسان بكلمة واحدة .

نهضت بعد ذلك وخاطبته وهو واقف عند النار ، أنت يا « نوار » رجل

تـقـي ورع صدّيق ، وأنا رفيقك في السفر ــ مر يض ــ « خو ياك مصخّن » اليـوم ، ونـبـغـي الـرحـيـل ولا رحيل مع مرض ، فهلا ذكرتني في صلاتك وسألت الله لي الشفاء العاجل ؟ .. فلم يجبني بكلمة ، فقلت .. أفلا تصلي مـن أجلي يـا « نـوار ! » .. ظـل مـعـرضـاً عني ساكتاً ، فقلت مصرّاً .. أنا « خـو يـاك » أبـغـي مـنـك أن تذكرني في صلاتك ، هز الرجل رأسه متأففا و بـعد عني فتبعته وأمسكته بعباءته ، وأظنني كنت محموماً فزادني هذا الصدّ مـنـه حرارة وغيظاً ، فقلت ولا مزاح .. إسمع يا « نوّار » أنا أعلّمك .. إنت واحـد و « حـنّا » خمسة عشر ، وكلنا ندخن ونغني ، فاذا كنت لا تصلي من أجلي وتسأل الله لي الشفاء ، نذبحك والله مثلما ذبح مسفر هذه الشاة . أظن أن تـهديدي راعه فحرك شفتيه بهذه الكلمات « الله يجيرنا وإياك من النار » .. وهـذا مـنـتهى التساهل منه ، لم يطلب لي الشفاء .. كلا ، بل أشركني من فضله بالاستجارة من النار ، نار الجحيم .) .

وفي الحـاشـيـة يـوضـح الريحاني نفاق ابن سعود بتظاهره بالدين الذي هو بسبب خوفه من الاخوان والتسهيل لسيطرته عليهم ، بهذا القول :

(لا أظـن أحداً من العرب .. موحداً كان أو مشركاً ، يستطيع أن يقاوم مـا تحـركـه الـفلوات في نفسه من حب الغناء أو الحداء ، كنا ذات ليلة حول الـنـار نـبـحـث في هـذا المـوضـوع ، فروى أحد الربع قصة عن السلطان عبد الـعز يـز قـال « خـرجـنـا يوماً من الحسا مع الشيوخ وكنا عشر ين من خاصة رجـالـه ، فـلـمـا وصـلـنـا إلى الـدهـنـاء .. رفع عبد العز يز العقال والغطرة ــ الـكوفية ــ عن رأسه ووضعهما في الخرج وقال باسماً ، لا إخوان معنا ، من كـان عـنـده حـس فـلـيسمعنا الآن ، فرحنا نغني والله حتى قطعنا الدهناء ، وعبد العز يز مسرور طروب ») «٩٢»

بماذا نفسر هذا بغير النفاق ؟

يروى عنه أنه كان ينصح الملك فاروق قائلا : « قوتان في مصر يجب أن

تـكـسبهما .. الأ زهر والجيش ، فأنت لا تستطيع قهرهما ولا الحكم بدونها ، فاحرص على كسبهما » «٩٣» ..

وهذه النصيحة قدّمها ابن سعود من باب خبرته وتجربته ، فهو سيطر على العلماء الذين عناهم في نصيحته « بالأ زهر » ، كما سيطر على الجيش الذين هم الاخوان .. والنتيجة أن شيّد حكمه ومملكته ..

وقيل أنه أوصى ابنه سعود بضرورة احترام العلماء كدعامة لحكمه بعد أن يموت و يستلم هو المنصب مكانه :

(أوصيك بعلماء المسلمين خيراً .. احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم) .. و بالفعل لم يلتزم سعود بالوصية ، فاستطاع منافسه فيصل أن يكتل العلماء ضده و يعزله بفتوى منهم ..

التحالف مع الانجليز ضد دولة الخلافة العثمانية :

إن موقف ابن سعود من دولة الخلافة أثناء محنتها في الحرب العالمية الأولى ، لا ينبيء عن حمية على الدين .. وديار المسلمين ، وكان لتحالفه مع الانجليز ضد الخليفة العثماني أثر كبير في تدمير دولة الخلافة وتشتيتها ، وبالتالي تقاسم إرثها بين الفرنسيين والبريطانيين ، وإخضاعهم للعرب تحت سيطرة الاستعمار الأجنبي المباشر ، الذي لا زالت أياديه تحرك خيوط الوضع الداخلي في البلدان العربية ..

وكان من المفترض أن تقود حركة الاخوان عبد العزيز نحو الاستقلال وفك أواصر التبعية مع الانجليز ، ذلك أن القوة التي يحملها مقاتلوه كفيلة بتحقيق ما يريد وإن طال الزمن ، إضافة إلى ذلك .. كان من المفترض أن تفرض أفكار الاخوان تجاه الكفار النصارى وكراهيتهم الشديدة للأجانب واقعاً جديداً عليه ، كأن يسايرهم في أفكارهم ورؤاهم ، لا أن يتنكر لها و يزداد تصلباً في التعامل مع الانجليز ، لينفذ أوامرهم و يكون هو والاخوان رقماً في السياسة البريطانية ..

فعبد العزيز لا يختلف من حيث الشعور في الموالاة والحاجة للحماية والدعم البريطاني عن بقية حكام الخليج ، إلا أنه يختلف عنهم بفارق واحد هو امتلاكه للقوة الذاتية « قوة الاخوان » التي يستند عليها في تحقيق الاستقلال ، لكن عبد العزيز لم يحقق إلا فارقاً ضئيلا عن حكام الخليج الآخرين لا يتناسب مع حجم حركة الاخوان وقوتها وتأثيرها ..

بعد احتلال الأحساء عام ١٩١٣م ، وقبل احتواء الاخوان في عام ١٩١٥م ، حدث أمر في غاية الأهمية وهو وقوع الحرب العالمية الأولى بين الحلفاء وعلى رأسهم بريطانيا .. وبين ألمانيا والدولة العثمانية ، وكان مصير العرب والمسلمين معلقاً على نتائج هذه الحرب ، والتي لم تكن مجهولة إذا ما فاز الانجليز بالجولة .. فحكومة العثمانيين ــ على سوئها وفسادها ــ كانت وبدون شك ، أفضل من الغرب المستعمر .. وحين فاز الحلفاء رأينا كيف قرر مصير العرب والمسلمين ، في دويلات وشعارات مختلفة وسلموا أعز بلادنا « فلسطين » لليهود ..

في هذه الحرب أين كان يقف عبد العزيز ؟!

كان إمام اليمن .. وآل الرشيد .. وحكام الحجاز في باديء الأمر مع دولة الخلافة ، أما ابن سعود فقد أعلن انحيازه لجانب الانجليز وأعلن استعداده لمساعدتهم ، وراح يهاجم الترك في مجالسه الخاصة والعامة .. وفي مقابل ذلك كان يسعى لأن يحصل على اعتراف من الانجليز بحقه في الأحساء والقطيف ، وأن يتعهدوا بحمايته . وفي عام ١٩١٥م وافق الانجليز على عقد معاهدة حماية على غرار معاهدات مشايخ الخليج الآخرين ، وقد وقعها برسي كوكس عن الجانب البريطاني مع ابن سعود ، وكانت أهم بنود الاتفاق :

اعتراف بريطانيا بابن سعود حاكماً على نجد والحسا والقطيف ومن بعده أبنائه ، على أن يكون ترشيح خلفه غير مناويء لبريطانيا ، وأنه إذا حدث اعتداء من قبل أي دولة أجنبية على أراضيه بدون مراجعة بريطانيا ، تعاون الحكومة البريطانية ابن سعود بالمقدار الذي تراه فعالا .. ومن ضمن الاتفاق أن يعد ابن سعود بتحاشي الدخول في مراسلة أي دولة أجنبية ، وإذا ما اتصلت به يبلغ الانجليز بذلك ، كما يتعهد ابن سعود بأن لا يسلم ولا يبيع ولا يؤجر أي أرض من أراضيه دون مراجعة الانجليز ، إضافة إلى أن

يتعهد بعدم الاعتداء على الدول الساحلية للخليج والواقعة تحت الاشراف البريطاني ، ويسمح بحرية المرور من أراضيه لأداء فريضة الحج !

والانجليز .. الذين لم يمنحوه شرف حمايتهم ، لم يعطوها إياه إلا بعد أن تفككت علاقاتهم مع الأتراك بسبب نشوب الحرب ، وبعد أن أثبت ابن سعود إخلاصه وجديته في معاونتهم ضد الاتراك ..

وفور توقيع المعاهدة « ١٨ صفر ١٣٣٤هـ — ٢٦ ديسمبر ١٩١٥م » ، انهالت المساعدات على ابن سعود ، حيث وُعد بأن يعطى مساعدات سنوية مقدارها « ٦٠ » ألف جنيهاً استرلينياً ذهباً .. كما وزود بالسلاح لمحاربة ابن الرشيد الذي لم يقبل بخيانة دولة الخلافة ..

والمهمة التي أوكلت لابن سعود تتلخص في محاربة ابن الرشيد الذي يخشى البريطانيون أن يعين القوات العثمانية في المدينة المنورة ، وأن يتقدم لمهاجمة الانجليز في فلسطين بعدما سيطروا عليها واحتلوها ..

واستطاعت المخابرات البريطانية ، بالوعود والدعم ، أن تقنع الشريف حسين بأن يقلب للترك ظهر المجن ، وأن يتمرد عليهم وينضم للانجليز في الحرب ، وكان عبد العزيز في هذه الأثناء .. وقبل توقيع معاهدة ١٩١٥م ، قد نصح الشريف حسين « عدوه اللدود » للتخلي عن الأتراك ، والانضمام معه لمناصرة ذوي العيون الزرق ! ..

وراح يوزع النصائح يميناً وشمالا ليقنع الآخرين بالتعاون مع بريطانيا ..

ففي عام ١٣٣٥هـ/١٩١٧م ، أرسل ابن الرشيد رسالة لابن سعود من أجل السلم والصلح ، فرد عليه أن الأمر ليس في يده ، وطلب منه التخلي عن الأتراك ودعم الشريف حسين لأنه عضو في التحالف مع الانجليز ومناصرة البريطانيين ، لكن ابن الرشيد رفض ذلك لأنه مخالف للدين والدنيا ..

وهذا رد ابن سعود :

(لو كان الأمر بيني و بينك ، لما كان أحب إلي من حقن دم المسلمين وجمع شمل العرب ، لكن الأمر اليوم يا أخي ليس في يدي ، فان شئت الخير لك وللعرب ، فان السلام يمكن أن يتحقق بثلاثة شروط :

١ ــ أن تقطع كل صلة لك بتلك الحكومة الوضيعة التي سببت الخسارة لديننا ودنيانا ، وأعني بها الحكومة التركية التي لم تترك إثماً لم ترتكبه .

٢ ــ أن تصبح صديقاً مع الحكومة التي نحن حلفاؤها «٩٤» ، وإخوانك العرب ونحن .. متعاهدون على توحيد العرب ..

٣ ــ أن تكون صديقاً مع الشريف وتساعده ، فأي عربي لا يساعده يجب أن نتجنبه ، لأن الشريف هو عضو في تحالفنا «٩٥» .

فان كنت تقبل هذه الشروط فلك ما تشاء ، فأنا أريد السلام ، ولكن لن أتنازل عن هذه الشروط «٩٦» ، حتى ولو كلفني ذلك عمري ، والسبب أنني أولا .. أعطيت كلمتي وكلمتي لا تتبدل ، وثانياً أنني والله لم أعرف أبداً عدواً ألد عداوة لديننا وللجنس العربي من الترك ، وكل من له غيرة على الدين والشرف العربي لابد أن يحاربهم) ..

ورد ابن الرشيد :

(لقد تلقيت رسالتك ٢٢ رجب ١٣٣٥هـ/١٤ مايو ١٩١٧م ، وفهمت ما بها ، إن الشروط التي ذكرتها غير مقبولة .. لا لصالح ديننا ولا دنيانا ، ولذا فالأمر على ما هو عليه ، فلزم تعريفك . من عندنا السلام لاخوتك وأولادك ، وأولادي يبعثون لك بتحياتهم) «٩٧»

ومرة أخرى ، دعا ابن سعود زعيم عشائر المنتفق في العراق لموالاة الانجليز ، نقلت ذلك « مس بل » مسئولة جهاز الاستخبارات في العراق بعد احتلاله في مذكراتها ، غير أن عجمي السعدون أجابه بأن ذلك مخالف للدين والشهامة والعروبة .. ترى .. أليس زعيما آل الرشيد والمنتفق أكثر وطنية وتديناً من ابن سعود ؟!

تقول « مس بل » في كتابها « فصول من تاريخ العراق القريب » :

(إن ابن سعود كتب إلى عجمي السعدون يحرضه على الأتراك و يدعوه للانضمام إلى الانجليز ، وقد أجابه عجمي السعدون بكتاب هذا نصه :

« أخي المبجل ، من المعلوم جيداً عندي بدرجة لا يتطرق إليها الشك ، أن موقفي هو موقف من يسعى لمرضاة الله العلي العظيم ، ولاعلاء إسم العرب باظهار الولاء لهم ، وأي ولاء أعظم من أن أسارع باخلاص إلى ما أمرني به الله في كتابه المجيد بالجهاد ضد الكافرين أعداء الله وأعداء الدين ؟ .. ولا يمكن أن تأخذني في الله لومة لائم ، أنا الذي أسعى لحب الله ونبيه و بلادنا ولحمايتها من أن يدنسها الكافرون . وقد كان لي أمل كبيربتدينكم وحميتكم العربية أن توافقوني رأيي ، وتؤيدوني فيما أقوم به ، من أجل إعلاء كلمة العرب .. وليس هذا بفضل الله تمرداً ، إنما هو موقف بسيط معروف ، وإذا كانت الحكومة التركية تذب عن حوزة الاسلام فهي عضدي وعضد قبائلي ، وأنا حاكم مطلق بأمر الله وأمر الحكومة ، وإني مقتنع ومعتقد بأني سائر في الطريق السوي الذي يرضي الله والعرب ، سيراً مستمراً لا يثنيني عنه شيء ، وهذه هي الروح الاسلامية ، وهذا هو الوضع . وأختم ما وجب على قوله مستشهداً بكلام الله :

« إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » .

إذا كنت قد أعطيت أي وعد لهم في الماضي فيجب أن أتقيد تنفيذ ما وعدت به ، لكنني أعطيت عهداً بخدمة ديني وحكومتي وحميتي ، والله تعالى أحسن من يكون في عوننا ، وإذا حاججتموني بترك الدين جانباً ، فالواجب يدعوني إلى الوفاء بالعهد الذي قطعته على نفسي من قبل لحكومتي ، وهذا أول ما تقتضيه شيمة العرب ، وهذا ما وجب بيانه » ..) ..

ومن المؤكد أن الاخوان .. ومن ورائهم العلماء ، لو خيروا بين محاربة

الترك أو الانجليز ، لاختاروا الانجليز ، فعلى الرغم من تاريخ الدولة العثمانية الحافل بمقاومة وعداء الوهابيين ، إلا أننا لا نعتقد بأن غيرتهم تطاوعهم بأن يقفوا صفاً واحداً مع النصارى ، وضد العثمانيين الذين يقولون « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .. »

وقد كان شعور المسلمين عموماً متعاطفاً مع الدولة العثمانية في الحرب ، أما عبد العزيز فان مشاعر الحقد لا يخفيها أينما حل وارتحل ..

(عندما زار عبد العزيز الكويت في سنة ١٩١٦م/١٣٣٥هـ ، معزّياً الشيخ جابر المبارك الصباح في وفاة والده الشيخ مبارك الصباح ، واجتمع كبار أهل الكويت لتحية الأمير عبد العزيز بن سعود ، كان كل حديثه أو خطابه تشديد النكير على الأتراك والحط من شأنهم ، واتهامهم بما أصاب الاسلام من ضعف ، وتأييدهم لكل بدعة ، ثم ختم حديثه بأنه لو كان في بدنه قطرة من دم تميل إلى الأتراك لبذل كل وسيلة لاخراجها من جسمه) ..

فما كان من أهل الكويت إلاّ أن (استاءوا من تصريحاته هذه ، لأنهم ككثير من المسلمين في ذلك الوقت ، كانت عواطفهم مع الأتراك والألمان ، وكان الألمان منتصرين على الحلفاء في جميع الميادين . ولقد انصرف أعيان الكويت من مجلس ابن سعود غير راضين عن خطابه) «٩٨» ..

في عام ١٩١٨ وقعت خلافات شديدة بين الشريف حسين وابن سعود حول الخرمة ، التي سيطر عليها الشريف ، وأذاق أنصار الاخوان الأذى الشديد .. فطالب الاخوان ابن سعود بأن يقودهم لقتال الشريف ، وكذلك طالب العلماء ، غير أن الانجليز لم يكونوا ليقبلوا بتصارع حلفائهم ، وأن ينتصر الاخوان على حليفهم الأول الشريف ، لذا أمروه بأن يقاتل آل الرشيد ، فجاءت بعثة إنجليزية من العراق بقيادة « فيلبي » محملة بأكياس الذهب لاغرائه بآل الرشيد وصرف اهتمامات الاخوان عن الحجاز .. فوافق

ابن سعود على الصفقة .. وتقدم بجيشه وحاصر حائل ، لكنه عجز عن احتلالها بسبب أن حماسة الاخوان انطفأت ، لأنهم عرفوا أن هذه الحملة موجهة من الانجليز ، وأن فيلبي كان معهم في الحملة ، فكرهوا القتال ، وحين خيروا بين الاقتحام أو العودة .. فضلوا العودة على غير عادتهم ..

لقد كانوا يريدون محاربة الشريف حسين .. ولكن لأن الانجليز يريدون آل الرشيد ، لذا رفضوا ورفض العلماء الذين استطاع ابن سعود فيما بعد إقناعهم ليتولوا إقناع الاخوان ، وهنا نرى أن العلماء كانوا دوماً مع عبد العزيز ، رغم علم بعضهم بأن الانجليز يوجهونه ..

رفض الدويش قتال آل الرشيد وامتلأ الجو حماساً ، وطالب بقتال الشريف الموالي للأجانب ، واتهم عبد العزيز بالسير في ركبهم فقام ابن سعود خطيباً ليبرر عمله وهجومه ، واعترف بالدعم الانجليزي المقدم له ، والفوائد التي يحصلوا عليها من الانجليز إذا ما هاجموا حائل واحتلوها ..

ولكن أصرّ الاخوان على الرفض ، فالجانب الديني أهم من كل الجوانب والمصالح السياسية الأخرى !

فمن يستطيع إقناعهم بالقتال غير العلماء ؟!

« جاء علماء الوشم وأفتوا أن ابن الرشيد هو العدو ، عندها أجهش الاخوان بالبكاء على عادتهم عندما يتبينون خطأهم ، واستغفروا الله على شكهم في الأمام » الذي لم يرفع الشك عنه إلا فتاوى العلماء ..

مع هذا .. وكما يقول فيلبي ، أنه في هذا العام ١٩١٨ « كان الشعور في أوساط الاخوان أن تعاون عبد العزيز مع بريطانيا يحيد به عن طريق الاسلام » «٩٩» .

في الثلاث سنوات التي تلت عام ١٩١٨ والتي سبقت احتلال حائل ١٩٢١ ، وقعت خلافات حدودية بين سالم بن مبارك الصباح حاكم الكويت وبين ابن سعود ، فأرسل هذا الأخير قوات الاخوان لمقاتلة أهالي

الكويت ، ليس لادخالهم في الاسلام ودين التوحيد ـ وإن كان قد طلبه الدويش من حاكم الكويت كشرط ـ بل من أجل ز يادة رقعة أراضيه التي يحكمها .. وهناك وقعت معارك حمض والشعيبة والجهرى ، التي تعتبر الآن علامات في تاريخ الكويت .. ولم تقف هذه المعارك إلا بعد تدخل الانجليز لصالح ابن سعود ، فوقعت معاهدة العقير عام ١٩٢٢ ، إثر اجتماع بين كوكس وابن سعود .

ورغم أن عبد العزيز ـ قبل توقيع هذه المعاهدة ـ استطاع أن يضم حائل عام ١٩٢١م ، وعسير بما فيها نجران وجازان ، عام ١٩٢٢ ، بعد أن خان آل عائض ، إلا أنه لايزال ـ وهو الذي سيطر على معظم أراضي الجزيرة العربية ـ يتعامل مع الانجليز كخادم حقير .. ولعل ما حدث في اجتماع العقير يوضح لنا هذا الشعور :

(عندما بدأت المفاوضات في أول الأمر بين نجد والعراق كانت مثالا للمساومات المتبعة ـ كما يقول ديكسون ـ عندما يلتقي ممثلو دولتين شرقيتين لحل مشكلة من المشاكل ، إذ أن كلا الطرفين ظلاّ طوال الوقت يعرضان مطالب عجيبة وغريبة ، ولكن كوكس لم يلبث أن تصرف بحسم ، إذ أنّب ابن سعود في اقتراحه الخاص بالأخذ بفكرة الحدود العشائرية وعدم الاعتراف بخط ثابت للحدود بين العراق ونجد ، وأعلن أنه سيخطط الحدود بنفسه ، وذكر ديكسون أنه قد أدهشه أن يرى سيد نجد يوبّخ كتلميذ وقح ، من قبل المندوب السامي لحكومة صاحب الجلالة ، وأن ابن سعود أخذ يتودد ويتوسل معلناً أن برسي كوكس هو كل شيء بالنسبة له ، وأنه هو الذي صنعه ورفعه من لاشيء إلى المكانة التي يحتلها ، وأنه على استعداد لأن يتخلى عن نصف مملكته أو كلها إذا أمره برسي كوكس بذلك ، ويضيف ديكسون أن ابن سعود لم يلعب بعد ذلك دوراً يذكر في المباحثات ، تاركاً الأمر لكوكس ليقرر بنفسه حل مشكلة الحدود .

وفي جلسة عامة في المؤتمر ، رسم كوكس على خارطة للجزيرة العربية خطاً أحمر من الخليج إلى جبل عنيزان بالقرب من حدود شرق الأردن ، وبذلك يكون قد أعطى العراق مساحة كبيرة من الأراضي التي تدّعي نجد ملكيتها ، وإرضاءاً لابن سعود .. حرم الكويت من ثلثي أراضيها وأعطاها لنجد بحجة أن سلطة آل صباح في الصحراء أصبحت أقل مما كانت عليه يوم وقعت الاتفاقية الانجليزية التركية في يوليو عام ١٩١٣م) (راجع كتاب جمال زكريا قاسم ، السابق الذكر) ..

الحجاز.. صراع على الحكم :

إن خلاف ابن سعود مع شريف الحجاز، لم يكن في يوم من الأيام خلافاً دينياً وإن كانت قاعدة الجيش السعودي تعتبره كذلك .. ذلك أنه كان ينظر للحجاز كمنطقة تسيل لها اللعاب، كان لأجداده قبل قرن من الزمان أو أكثر دور في حكمه لبضع سنوات، وعليه .. فهو يريد أن يستعيد هذا البلد بعد أكثر من مائة سنة من فقدانهم إياه بمجرد أن وصلت الحملة المصرية «حملة محمد علي» لتدك دولة السعوديين الأولى تحت شعار عودة ملك الآباء والأجداد ..

إن الخلافات الفكرية بين أهالي نجد والحجاز لم تكن بذي شأن إذا لم تضف إليها الجوانب السياسية، فالحجازيون يعتقدون ـ كغيرهم ـ أن «الوهابية» حركة دينية إستغلت لتحقيق مطامح سياسية، وهذا ما عبر عنه فيصل بن الشريف حسين حين زار الانجليز في مصر قبل زوال دولة والده، ولهذا فقد اتخذوا موقفاً مضاداً من الحركة وطالبوا أكثر من مرة بحل الاخوان، لا لأنهم يختلفون فكرياً معهم في المعتقدات فقط، بل ولأنها ـ الاخوانية ـ أداة فعالة في يد عدوهم ابن سعود الذي يحاربهم باسمها وباسم الدين للسيطرة على منطقتهم ودولتهم.

وهناك نقطة نودُّ الاشارة إليها، وهي الخلاف التاريخي حول المصالح بين حكام نجد والحجاز، فالعداء بين المنطقتين «نجد والحجاز» تعدّى الخلاف الديني والمصلحي .. ليكون خلافاً تاريخياً بين منطقتين تختلفان في

التفكير والكيفية التي تطبق بها العقيدة ، وكذلك العادات والحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وهذه الاختلافات لازال لها بعض الأثر إلى وقتنا الحاضر..

لقد كان اصطدام آل سعود مع الأشراف في القرن الثالث عشر الهجري ، وقد كان الخلاف في البدء دينياً بين عقيدة الوهابيين ، وبين عقيدة أهالي الحجاز الشوافع والأحناف ، وقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثيراً ما يناظر علماء الحجاز ، وأحياناً يطلبون منه المناظرة بحضرة الشريف غالب ــ الحاكم يومئذ ــ فيقوم الشيخ ابن عبد الوهاب بإرسال مبعوث من لدنه من تلامذته ليقوم بالمناظرة الدينية التي لم تكن النتائج فيها واضحة المعالم ، ولم يكن أي طرف يقبل بمقولات الطرف الآخر ، وكل لديه حجته ..

والخلاف الاجتهادي ــ إن صح تسميته ــ كان يشغل حيزاً قليلاً وهامشياً من مساحة الصراع الدموي ، ذلك أن الخلاف لم يتعد مسألة القبور .. وتقديس قبور الأنبياء والأولياء .. وطلب الشفاعة .. وما أشبه ، التي يعتقدها الوهابيون أنها شرك بالله ، بينما يرى الآخرون أنها غير ذلك .. بيد أن تحول الخلاف الفكري إلى خلاف مسلح ، حيث حمل أتباع الوهابية السلاح لمقاتلة من يخالفهم في أفكارهم التي يعتقدون أنها هي الصحيحة وأن غيرها خاطئة ، أدى بدوره إلى خلاف سياسي .. ودخلت الأهواء والمصالح .. واستفيد من « الوهابية » في التوسع على اعتبار أن الآخرين كفرة ومشركون .. ووجد السعوديون أنفسهم يقاتلون من أجل توسعة حكمهم باسم « الوهابية » وتكفير الآخرين ..

وهكذا لم يمض وقت طويل على وفاة محمد بن عبد الوهاب عام ١٢٠٦هـ ، حتى وصلت الخلافات مع الحجاز إلى نقطة اللاعودة ، واستطاع سعود الكبير أن يدخل الحجاز ويحتله ، ويسقط إسم الخليفة العثماني من

التفكير والكيفية التي تطبق بها العقيدة ، وكذلك العادات والحالة الاقتصادية والاجتماعية ، وهذه الاختلافات لازال لها بعض الأثر إلى وقتنا الحاضر..

لقد كان اصطدام آل سعود مع الأشراف في القرن الثالث عشر الهجري ، وقد كان الخلاف في البدء دينياً بين عقيدة الوهابيين ، وبين عقيدة أهالي الحجاز الشوافع والأحناف ، وقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب كثيراً ما يناظر علماء الحجاز ، وأحياناً يطلبون منه المناظرة بحضرة الشريف غالب ـ الحاكم يومئذ ـ فيقوم الشيخ ابن عبد الوهاب بارسال مبعوث من لدنه من تلامذته ليقوم بالمناظرة الدينية التي لم تكن النتائج فيها واضحة المعالم ، ولم يكن أي طرف يقبل بمقولات الطرف الآخر ، وكل لديه حجته ..

والخلاف الاجتهادي ـ إن صح تسميته ـ كان يشغل حيزاً قليلاً وهامشياً من مساحة الصراع الدموي ، ذلك أن الخلاف لم يتعد مسألة القبور .. وتقديس قبور الأنبياء والأولياء .. وطلب الشفاعة .. وما أشبه ، التي يعتقدها الوهابيون أنها شرك بالله ، بينما يرى الآخرون أنها غير ذلك .. بيد أن تحول الخلاف الفكري إلى خلاف مسلح ، حيث حمل أتباع الوهابية السلاح لمقاتلة من يخالفهم في أفكارهم التي يعتقدون أنها هي الصحيحة وأن غيرها خاطئة ، أدى بدوره إلى خلاف سياسي .. ودخلت الأهواء والمصالح .. واستفيد من « الوهابية » في التوسع على اعتبار أن الآخرين كفرة ومشركون .. ووجد السعوديون أنفسهم يقاتلون من أجل توسعة حكمهم باسم « الوهابية » وتكفير الآخرين ..

وهكذا لم يمض وقت طويل على وفاة محمد بن عبد الوهاب عام ١٢٠٦هـ ، حتى وصلت الخلافات مع الحجاز إلى نقطة اللاعودة ، واستطاع سعود الكبير أن يدخل الحجاز ويحتله ، و يسقط إسم الخليفة العثماني من

على المنابر .. لكن المدهش حقاً هو أنه أبقى الشريف غالب على الحكم ، وقبل الموالاة الاسمية والمال الذي يدفعه له كل سنة ..

وبعد احتلال مكة من قبل سعود الكبير عام ١٢١٨هـ ، توجه إلى المدينة وسيطر على ما في الروضة المدنية من نفائس ومجوهرات ، وهدم القباب بحجة مخالفتها للشرع ، واستولى على ما فيها من الأموال والجواهر .. ولم يدفع بهذه الأموال لبيت المال ، بل أخذها لشخصه ووزع قسماً منها على زوجاته الأربع وأفراد عائلته ، وبعد استسلام عبد الله على يد محمد علي وقواته ، سلّم جزءاً مما أخذه سعود لمحمد علي .

وما نريد توضيحه هنا ، هو أن خلاف سعود الكبير مع الشريف غالب يومها ، كان خلافاً حول المال والثروة والحكم ، ولم يكن خلافاً دينياً ظاهرياً كما كان في السابق .. لهذا نجد أن القوات المصرية التي جاءت لتدمير دولة السعوديين ــ خصوصاً بعد أن منع سعود الكبير الحج عن كل المسلمين ــ إنما جاءت بالتعاون مع الشريف غالب ، وما إن وصلوا إليه حتى خلع طاعة سعود ، وكذلك فعل الأهالي الذين رضخوا لجبروته وأوذوا كثيراً بمنعه المسلمين من أداء فريضة الحج ، وهم الذين يقتاتون على هذه المواسم .

من هنا نشأ الخلاف التاريخي .. خلاف فكري لا يلبث أن يتحول بين الزعماء إلى خلاف مادي ومصلحي حول من يحكم ومن يسيطر ؟ ..

هذه الصورة التي عاشها سكان الحجاز ونجد في القرن الثالث عشر ، تكررت بشكل واضح جداً في القرن الرابع عشر « بفارق قرن وثمان سنوات » ، ولم يتغير سوى الوجوه .. فعبد العزيز « ابن سعود » مثل دور جده سعود الكبير في كل شيء « الغلظة ، وحب الدنيا ، وتحويل الدين كمطية لأطماعه » ، ومثل الشريف حسين ، أجداده ــ أيضاً ــ الذين كان على رأسهم الشريف غالب .. وأما شعب الحجاز فلم يتغير بين هذه

الفترة بالنسبة للمعتقد الديني المخالف للوهابية .. أما الاخوان « الجيش السعودي » فانهم أيضاً لم يختلفوا عن أسلافهم الذين قادهم سعود الكبير ، من حيث كونهم تربوا على عقيدة محمد بن عبد الوهاب وآمنوا بها واعتنقوها عن صدق وعقيدة ، ومن حيث أنهم كانوا أداة في يد الحاكم السعودي الذي لا يشاركهم المعتقد إلا باللفظ والممارسة الظاهرية .

والأكثر من ذلك .. نجد أن الخلافات الحدودية التي كانت بين الشريف غالب وسعود الكبير ، هي ذاتها التي كانت بين ابن سعود والشريف حسين ، والتي تتلخص في الخلاف حول نقاط الحدود الواقعة في تربة والخرمة .

وهناك تشابه آخر .. وهو أن الغلبة والقوة الأولى في الجزيرة العربية في باديء الأمر هي للأشراف ، ثم لا تلبث هذه القوة في تأخر .. حيث ينهض النجديون وقاعدتهم الشعبية باسم الدين ، ليغيروا المعادلة .. وليسقطوا في النهاية دولة الأشراف ، والأكثر غرابة من كل هذا هو أن توقيت سقوط الحجاز كان في الحالتين يأتي ضمن ظروف معينة ، بحيث أنه كان آخر مقاطعة سقطت في يد السعوديين في الدولة السعودية الأولى والثالثة ، أما في الدولة الثانية فانهم كانوا بعيداً عن الحجاز ..

ففي الدولة السعودية الأولى ، سيطر آل سعود على نجد أولا .. ثم انتقلوا إلى الأحساء .. ثم إلى مناطق الخليج الأخرى « الزبارة وعمان » .. ثم توجهوا جنوباً إلى عسير قريباً من اليمن .. ثم أخيراً نضجت فاكهة الحجاز وسقطت في أيديهم .

أما في الدولة السعودية الثالثة ، فانهم سيطروا على معظم نجد .. ثم توجهوا إلى الأحساء .. ثم أسقطوا آخر مناطق نجد ، ألا وهي حائل .. ثم دانت لهم عسير والجنوب بنفس الكيفية التي دانت لسعود الكبير — بطلب الحماية والسلم ثم استولى عليهم — .. ثم توجهوا للحجاز ..

ومن ناحية الظروف السياسية ، فهناك تشابه أيضاً يبدأ بالخلاف الفكري ــ كما ذكرنا ــ .. ثم إلى المصلحة .. ثم يحدث اتفاق سلام .. ثم خلافات حدود تفجّر .. ثم يمنع الحجاج النجديون من أداء فريضة الحج لتكون إيذاناً ببدء الزحف السعودي للاحتلال ..

لقد حدث هذا في عهد سعود الكبير ، كما حدث في عهد ابن سعود .. لدرجة تشبه التطابق .

الأمر الذي كان فيه بعض الاختلافات هو الظرف الدولي السياسي .. ففي عهد سعود الكبير كانت القوة المسيطرة على بلاد المسلمين هي حكومة الخلافة ، أما الأجانب والقوى العظمى ــ وبالذات الانجليز ــ فلم تتأكد بعد سيطرتهم ويتقو نفوذهم في بلاد العرب .. مع هذا كانت السيطرة إسمية للعثمانيين على الحجاز ، وهذا ما مكنه من احتلاله ، ولولا أنه أظهر العداء لدولة الخلافة وخلع يد الطاعة .. ولولا أنه منع الحجيج بعد سيطرته عليه ، لما جنّدت دولة الخلافة حملة لانهاء حكمه ..

من جهة أخرى لم يواجه سعود قوة منافسة أو عدوّة في الخليج ودوله الساحلية ، ولذا استطاع بالمكر والحيلة تارة .. وبالسيف تارة أخرى ، أن يسيطر على جزء كبير منها في عهد والده « عبد العزيز » ، ثم أحكم سيطرته عليها بعد أن آل الأمر له .

لكن في عهد عبد العزيز ، كانت الدولة العثمانية في أشد حالات ضعفها ، وكان الأوروبيون يطلقون عليها اسم « الرجل المريض » ، وكانوا يتحينون الفرصة لاطلاق رصاصة الرحمة عليها وتمزيق أشلائها وهي التي تواجه ثورات وانتفاضات متعددة في أوروبا وبلاد العرب .. وفي ذات الوقت كان الانجليز قد بدأوا باحكام سيطرتهم على دول الخليج الساحلية « عمان ــ الكويت ــ الامارات ــ البحرين ــ إيران ــ قطر ــ وحتى اليمن .. » هذه السيطرة الأجنبية على الخليج .. وظهور دولة أوربية منافسة

لحكومة الخلافة ــ العدو التاريخي لآل سعود ــ ، كانت كافية لأن ينحرف ابن سعود و يقف بصلابة في وجه دولة الخلافة ، معتمداً على الدعم والسند والحماية الانجليزية له .. ولهذا وجدناه يتحدث بلهجة شديدة ضد الأتراك ، لأنهم كانوا فعلا ضعفاء ، بحيث لم يكن لهم أي قدر من القوة لتأديب ابن سعود وأمثاله .. وفي نفس الوقت اتفق ابن سعود مع الانجليز على عدم مهاجمة محمياتهم من الدول الخليجية ، أو إثارة مشاكل لديهم مقابل الاستمرار في دعمه والعطف عليه .. الأمر الذي لم يكن موجوداً في عهد سعود الكبير .

هذا الظرف الدولي الذي تغيّر ، فهمه ابن سعود قبل الشريف حسين ، كما استفاد الأول من التاريخ ــ تاريخ حكم آبائه ــ فتلافى نقاط التفجّر التي وقع فيها الحاكمون من عائلته ، بينما لم يتعلم الشريف حسين من تاريخ الحجاز كثيراً ، وكان منساقاً في قراراته منخدعاً بقوته ، ولم يدرك قوة خصمه على حقيقتها ..

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، كان قرار الشريف غالب بمنع الحجيج النجدي خطأً كبيراً ومبرراً لعدوه في الهجوم من الوجهة الدينية ، وهو الأمر الذي كرره الشريف حسين ، فاستطاع ابن سعود بعد سنوات من المنع أن يكتل الشعب ضده ، وأن يستحصل على فتاوي العلماء بوجوب الحج سلماً أو حرباً .. بينما لم يكرر ابن سعود تجربة جدّه سعود الكبير بعد الاستيلاء على الحجاز بمنع الحجيج وجلب سخط المسلمين ، بل سارع ــ وقبل أن تسقط جدة ــ الميناء الرئيسي لقدوم الحجاج ، إلى أن يدعو المسلمين للحج وأن يعلن عن استعداده في استقبالهم في ميناء آخر غير جدة وهو ميناء « ينبع » ، وبالفعل جاءت بضعة آلاف من الهنود ، استفاد منهم في بث الدعاية بين المسلمين حين عادوا ، حيث أكرمهم واحتفى بهم ..

على أية حال ، فان الخلاف التاريخي المادي والمصلحي كان سبباً

مباشراً في الخلافات بين ابن سعود وشريف الحجاز ، وإن كانت القاعدة النجدية تقاتل عن عقيدة دينية قبل كل شيء ، بينما الحجازيون يدافعون بدافع وطني على الأغلب .

والآن .. لنر العلاقة بين الأشراف وآل سعود قبل سقوط الحجاز على حقيقتها ، وكيف أن حملة ابن سعود كانت مجردة من الأهداف الدينية ــ وان كانت القاعدة غير ذلك كما ذكرنا ــ .

* * * *

قبل سقوط الحجاز:

حين ظهر ابن سعود بعد انقلابه العسكري في الرياض ١٩٠٢م ، لم يكن ذلك مثيراً للأشراف في الحجاز ، الذين كانوا يتوقعون أن الرياض ستسقط بين ليلة وضحاها ، كما لم يبد ابن الرشيد الاهتمام الكافي بالأمر .. فيهاجم ابن سعود قبل أن يتقوى ، بل أهمله وانشغل عنه بأمور جانبية أدت في النتيجة إلى إحكام سيطرة الأخير على الرياض واستعداده للدفاع عنها ..

في تلك السنوات .. كان ابن الرشيد والشريف حسين يشكلان حلفاً ضد ابن سعود وأستاذه حاكم الكويت ابن صباح ، على اعتبار أن الأخيرين مواليان للانجليز أعداء الترك اللذين يحالفانهم .

ولهذا كان من الطبيعي أن يجد ابن الرشيد والشريف سند كل منهما في صاحبه متى احتاج له .. ولهذا ــ أيضاً ــ كان من الطبيعي ، بسبب الخلاف التاريخي والمصلحي مع ابن سعود ، أن يقف الشريف مع حليفه ابن الرشيد .. بل وسيطالب فيما بعد سقوط حائل ، بأن يعيد سلطان آل

الرشيد إليهم !

على أية حال .. كان العداء في البداية تقليدياً ، رغم أن الأشراف وآل الرشيد لم يستشعروا خطر ابن سعود إلا بعد أن فات الزمن ، و بقي هذا الأمر إلى أن اشتعلت الحرب العالمية الأ ولى ..

وقبل اشتعالها حدثت مناوشات على حدود الحجاز ونجد ، أسر في إحداها أخ ابن سعود المسمّى « سعد » ، والذي لم يطلق سراحه إلا بعد أن دفع ابن سعود فدية بسيطة ، وتعهد بأن لا يقف بوجه حكومة الخلافة وأن لا يعاديها ، وهذا هو الشرط المهم ..

لكن هذا الشرط سقط بعد أشهر من اندلاع الحرب العالمية الأ ولى ، حين غيّر الشر يف من ولائه للأتراك إلى الانجليز ، بعد مباحثات طو يلة معهم استمرت عدّة أشهر ، و بعد أن نال من الوعود ما يلبى طموحاته في بناء دولة عر بية كبرى تقع تحت هيمنته ونفوذه ..

وقد وضحنا في الصفحات السابقة كيف أن ابن سعود أصبح عراباً انجليز ياً يدعو حلفاءه وأعداءه على حد سواء ، كي ينبذوا الأ تراك و يقفوا مع الانجليز ، وكان الشر يف من بين الأعداء الذين دعاهم للتحالف مع الانجليز ..

حين شعرت الحامية التركية بنية الشر يف وميلانه للانجليز ، أرسل القائد العام التركي إلى ابن سعود يقول له بأن الشر يف مقبل على فتح الحرمين لأعداء الدولة العثمانية ، وأنه إذا أقدم سيساعده على احتلال الحجاز .. وكان هذا القائد يتصور أن ابن سعود أكثر حميّة على الدين والمقدسات من الشر يف ، وأنه أكثر ولاءاً للدولة منه .. ولم يكن يعلم حقيقة موقف ابن سعود من الحرب ، ذلك أن الأخير ــ رغم عدائه السافر للترك وتهجمه عليهم في المجالس ــ أبقى اتصالا ته ودعمه للانجليز تحت الأ رض ، وحاول قدر الامكان أن يظهر للعثمانيين أنه محايد .. وهكذا

انخدع القائد العام ..

يقول المختار :

(وقبل إقدام الشريف على إعلان ثورته.، كان الرسل يروحون ويجيئون من الحجاز إلى مصر و بالعكس عن طريق بور سودان ، مما لفت أنظار غالب باشا الوالي والقائد العام التركي في الحجاز ، وأدرك مدى الخطوة الخطيرة التي يريد الشريف الاقدام على اتخاذها ، فعقد النية على مفاوضة الامام عبد العزيز آل سعود في الأمر ، ولكنه موّه قصده بالطريقة التي اتخذها إليه ، فقد أرسل رسوله وهدية إلى الامام بواسطة الشريف حسين نفسه ، فأبقى الشريف الهدية عنده وسمح للرسول بالسفر إلى نجد حاملا إلى الامام الرسالة التالية .. وكانت سرية :

« إنك تعلم بأعمال الشريف .. وأنا الآن أزيدك علماً ، إنه يفاوض الانكليز وهو على وشك أن يخون الدولة و يفتح لأعدائها الحرمين ، فاذا قدمت إلى الحجاز أسلمك الحرم وأساعدك بكل ما لدي من قوة » ..

فأجابه الامام عبد العزيز بكتاب مرفق بهدية وقد جاء فيه : « إنه والحسين يد واحدة » .. وكان الحسين بن علي قد أعلن ثورته ، ووصلت الهدية والرسالة إلى مكة فاستلمها الشريف وأبقاهما عنده)[١٠٠] ..

وكان الشريف قد أعلن ثورته على الترك في التاسع من شعبان ١٣٣٤هـ الموافق ١٩١٦/٦/٢م .. وبدأ بتصفية النفوذ التركي في مكة وجدة ، ثم توجه إلى المدينة شمالا ، ثم جاء لورانس ممثلا للمخابرات الانجليزية في القاهرة ، ليحيي ما أسمي بالثورة العربية ..

بعد إعلان الشريف ثورته هذه ، طابت العلاقة مع ابن سعود ، خصوصاً وأن رد الأخير على قائد الترك العام في الحجاز أبقى أثراً طيباً في قلب الشريف .. ولا شك أن ابن سعود كان ضد الترك وفي موالاة الانجليز ، وليس لأن مصلحة ما تجمعهما ..

وتشكل الحلف من الشيوخ المتعاونين مع الانجليز والمعادين للترك من ابن الصباح ، وابن سعود ، والشريف حسين ، وفي إجابة ابن سعود على رسالة ابن الرشيد الذي طلب الصلح .. اشترط الأول على الثاني أن يوالي الانجليز ويعادي الترك .. وألا يهاجم الحسين لأنه عضو في التحالف ، مقابل السلام ..

أضف على هذا ، امتنع ابن سعود عن مهاجمة الشريف مادام الأخير على وئام مع الانجليز ، ولذا حول جيوشه من الغرب إلى الشمال باتجاه حائل التي رفض زعيمها الانصياع للانجليز ..

قبل أن تنصرم سنة ١٩١٦م ، أرسل ابن سعود رسالة للشريف عبد الله بن الشريف حسين حاثاً إياه على قتال الأتراك ، بوصفه قائداً للجيوش الشرقية الهاشمية ، ومما جاء في الرسالة .. « ١٤/١٢/١٩١٦ » :

(إن كل إنسان فيه حميّة ودين وعربية أن يجتهد في جهاد الأتراك وحلفائهم ، لأن اليوم والله ما أخبر عدو للاسلام والعرب غيرهم) ..

وأصبح الشريف حسين وأولاده .. بعد إعلان تمردهم على الأتراك ، أهم عنصر في جزيرة العرب بالنسبة للانجليز ، ولهذا انهالت عليهم الأموال والأسلحة منهم ، كي يقوم الشريف بشراء ذمم القبائل والحكام والمشايخ الصغار لحساب الانجليز ، وكان ابن سعود في مقدمة الذين تلقوا مساعدات مادية من الشريف نفسه ، بل إنه كان يلح في طلبها ..

يقول المختار :

(ما كاد الشريف حسين يعلن ثورته .. حتى راح الذهب الانكليزي يتدفق على جدة من طريق بور سودان مصحوباً بكميات من العتاد الحربي ، وكان هذا الذهب يصل في صناديق خاصة لينفقه الشريف بمعرفته لتجنيد العرب واستمالة أمرائهم ورؤسائهم إلى حركته ، وأرسل إلى الامام ابن سعود « صرّة » في آخر سنة ١٣٣٥هـ ، وأتبعها في السنة التالية

بثلاث « صرر » وفي كل واحدة منها خمسة آلاف ليرة انكليزية ذهباً ، بيد أن الشريف لم يرفق هذه « الصرر » بأي كلمة باستثناء قول حاملها .. « هذه من جلالة الملك ») «١٠١»

وفي جانب من رسالة ابن سعود لابن الشريف حسين « عبد الله » ، يطلب معونة مالية من المعلومين « الانجليز » ليتقوى بها على داخليته :

(أما إذا ترون مساعدة لنا سواء من سيادتكم أو من المعلومين ، نضبط بها داخليتنا ، ونتقوى بها على الجهاد على حضرتكم .. فذلك هو المطلوب) .. ثم ترسل له صرة بألف جنيه مع اعتذار بأن الحالة معلومة ، بمعنى أن الأشراف في وضع محتاجون فيه للمال .. ولكنهم في نفس الوقت عرضوا معونتهم له من البنادق والمدافع ، بمجرد أن يعرفهم ابن سعود بحاجته إليها «١٠٢» ..

في الثاني من تشرين الثاني ١٩١٦م ، أعلن الشريف حسين نفسه ملكاً على العرب ، فلم يعترف به ابن سعود أو الانجليز الذين وعدوه بأن يكون ملكاً للعرب .. وحاول ابن سعود بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى أن يستولي على بعض المدن الحدودية ، لأن بعض الأهالي اعتنقوا المذهب الوهابي ، واتصل بكوكس لأجل هذه الغاية في ميناء العقير، فتعهد له بعدم اعتداء الحسين عليه ، وحذره من أية حركة على الشريف لأنها ستكون ضد مصلحة الانجليز ومساعدة لأعدائهم ..

وتوتر الوضع على الحدود من جديد عام ١٩١٩م ، فما كان من ابن سعود إلا أن سيّر لـ « تربة » جيشه من الاخوان ، الذين هاجموا المدينة ليلاً ، وانقض الجيش على قوات الشريف من كل جانب ، وفر الأمير عبد الله قائد الجيش ناجياً بنفسه من فتك الاخوان ، وذعر الشريف من هذه الحادثة ، فاستنجد ببريطانيا خوفاً من أن يحتل ابن سعود الحجاز ، فما كان من الحكومة البريطانية إلا أن أنذرت ابن سعود وحذرته من التقدم في الأراضي

الحجازية وذلك في ٤ يونيو ١٩١٩م ، الموافق للسادس من رمضان ١٣٣٧هـ ، فانصاع لتحذير الحكومة الانجليزية وأمر قواته بالعودة للرياض خوفاً من الدخول في خصام مع الحكومة الانجليزية وهو في حاجة إلى مساندتها ، وخاصة في تلك الفترة«١٠٣» .. وقد تبين لابن سعود أن الانجليز لازالوا مع الشريف ، وأنه لم يحن الوقت لتصفية دولته !.

ويـنقل الريحاني «١٠٤» وصفاً للمذبحة في الجند الهاشمي في معركة تربة التي وقعت في ليلة ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ ، عن شاهد عيان هو الشريف عوده بن هاشم بالقول :

(رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل ، وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أظنها والله حمراء ، ورأيت القتلى في الحصن متراكمة قبل أن طحت من الشباك . ومن أعجب ما رأيت يا أستاذ .. رأيت الاخوان أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون إلى القتال) .. وهو هنا حين يبدي استغرابه إنما لأنه لم يستوعب كيف أن الاخوان يقومون بتلك المجزرة ويصلون لمرضاة الله !

وارتكب الشريف خطأ جعل المبادرة تفلت من يده ، فمنذ عام ١٣٣٨هـ/١٩١٩م ، منع حج أهالي نجد ، مكرراً تجربة أسلافه في القرن الثالث عشر ، فأعطى لابن سعود مبرراً شرعياً لاحتلال بلاده ..

ولكن ابن سعود انتظر خمس سنوات حتى تتهيأ الظروف السياسية ، وينال الموافقة الانجليزية بتصفية حكم الأشراف وبفتوى رجال الدين المتأخرة طوال هذه المدة ..

لقد توضح بعد تقسيم البلاد العربية ، وخيانة الانجليز للشريف حسين ولثورته ، وتنكرهم لوعودهم ، أنه لن يصمت ، وسيثير لهم المتاعب ، فكان ضد الانتداب البريطاني والفرنسي للبلدان العربية .. وضد إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وطالب باستقلالها استقلالا تاماً مطلقاً يخول

الفلسطينيين إدارة بلادهم بأنفسهم واختيارهم طريقة الحكم التي يريدونها .. وتعهد بأن لن يذهب شبر من فلسطين وسيحافظ عليها محافظته على بيت الله الحرام »[105].

وقد ضيقت بريطانيا على الشريف ليقبل بخططها في سوريا وفلسطين ، فقطعت دعمها عنه وحولته إلى ابن سعود ، فأرسل في ٢٨ كانون أول ١٩٢١ رسالة لرئيس الوزارة البريطاني يشتكي فيها من قطع المعونة وآثارها الاقتصادية السيئة ، وتحويلها لخصمه ابن سعود .. كما هدد لورانس الشريف حسين — بعد أن عجز عن إقناعه بتسليم فلسطين لليهود — وقال له :

إن قضية عروبة فلسطين لا جدوى منها ولا مجال للنقاش حولها فهي غير مقبولة ، أما وعود الحرب فقد سقطت بفعل الأحداث ، وعلى الملك أن يقبل الأمر الواقع ، ولكن الملك حسين رفض المساومة رغم نصيحة وزير خارجيته ، فقال لورانس « ولكن الفلسطينيين لا يريدونك » .. فرد عليه « إن هذا لا يغير من الأمر شيئاً ، نحن لا نريد فلسطين لي ولا لأولادي ، ولكن أريد أن تحفظ بريطانيا وعودها للعرب ، فان فعلت فأنا وأولادي على استعداد لمغادرة البلاد العربية » .. واستمر لورانس يغريه و يهدده بأنه لو وقع المعاهدة فسيحمي نفسه من الاخوان ، وأن قوات نجد لن تغزوه طالما يرتبط بمعاهدة مع بريطانيا ..

في هذه الأثناء بدا رصيد ابن سعود في الازدياد ، وأراد البريطانيون أن يستخدموه ككلب حراسة يعاقبون بواسطته المتمردين على الارادة البريطانية .. وما إن أطل عام ١٩٢٤ حتى تأكد للبريطانيين استحالة ثني الشريف عن موقفه ، فأوعزوا للحاكم السعودي بالتحرك ، وتهيئة الأجواء .. يقول حافظ وهبة ، مستشار الملك :

(أشرت على الملك عبد العزيز ، أن يضرب ضربته بالاخوان النجديين

سيوف الاسلام ، ولكن ابن سعود لم ينس إنذار البريطانيين له سنة ١٩١٩ ، ولكنني شرحت لجلالته الظروف التي تحيط بالملك حسين في ذلك الوقت وهي تختلف اختلافاً بيناً عنها في ١٩١٩ ، ففي تلك السنة كان الحسين حليفاً مطواعاً لبريطانيا ، وفي سنة ١٩٢٤ أصبح مناوئاً للانجليز ، وأخذت أهيء الجو بمنشورات حماسية تحمل اسم « الأمير فيصل » حملت فيها على الملك حسين في إعلانه الخلافة بدون استشارة المسلمين ، وهو ليس بالرجل الذي يقوى على تحمل أعباء الخلافة ، فكان لهذه المنشورات دوي في الهند ومصر"[١٠٦] ..

وفي الوقت نفسه أصدر الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود بياناً للعالم العربي يرفض فيه ادعاءات الشريف بخلافة المسلمين و يعلن توليه هو زعامة الحركة القومية العربية)"[١٠٧]

وهناك من الكتاب من يرجع سبب احتلال ابن سعود للحجاز إلى حاجته للمال ، لأن الحجاز أغنى وأوسع حالا من نجد ، بينما أشار كتاب آخرون إلى أن الهدف الأساسي تلبية مطامحه الخاصة باحتلال عرش الحجاز ، وقد تناغم الطموح مع الارادة الانجليزية بالقضاء على الحسين المشاكس ، وأن عبد العزيز لو لم يوافق على شروط الانجليز المتعلقة بالاعتراف بمبدأ الانتداب .. ولو لم يوافق على وعد بلفور وتأسيس دولة صهيونية في فلسطين .. لكان من المستحيل أن يوهب الحجاز ..

ولما نضجت فاكهة الحجاز ، ووافق الانجليز على أن يقطفها حليفهم ، جمع ابن سعود العلماء وطلب منهم فتوى باحتلال الحجاز ، لأن الشريف منع أهالي نجد من الحج منذ خمس سنوات .. ترى لماذا لم يطلب الفتوى بادانة الشريف إلا بعد أن تهيأت الظروف السياسية ؟!

دعا ابن سعود لمؤتمر يعقد في الرياض عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م ، حضره والد عبد العزيز « عبد الرحمن » وكبار العلماء .. وأوضح العلماء أن الحج

ركن من أركان الاسلام ، وأن مكة ليست ملكاً لأحد ، ولا يحق لأحد أن يمنع المسلمين أو يصدهم ، وقالوا :

إذا منعنا الشريف من أداء الفريضة دخلنا مكة بالقوة ، ولكن إذا كانت هناك مفسدة قد تنتج عن الترخيص لمسلمي نجد بالذهاب إلى بيت الله فيجب وقفها .. فهل هناك مفسده ؟ .. وأجاب ابن سعود « إن الشريف يزرع البغض بين عشائره وأنه ورث بغض آل سعود من أسلافه .. » وأضاف « كنت كلما دنوت من الحسين تباعد ، وكلما لنت له تجافى ، إي ورب الكعبة ! ، ولست أرى في تطور الأمور ما ينعش الأمل ، بل أرى الأمور تزداد شدة وارتباكاً ، ولا يحسن الاستمرار في خطة لا تعز حقوقنا »«١٠٨» ..

والأمر المريب هنا ، هو أن ابن سعود لم يطلب من الشريف السماح من جديد لأهالي نجد بالحج ، أو ينذره بقتاله إذا لم يوافق .. بل قرر للعلماء أن الأمر لن يحدث إلا بتدمير دولة الأشراف ..

وعلى أساس فتوى رجال الدين بالحرب .. جهز ابن سعود قواته لاحتلال الحجاز ، وفي صفر ١٣٤٣هـ الموافق ١٩٢٤م ، تحركت القوات السعودية بقيادة السلطان بن بجاد زعيم الغطغط وخالد بن لؤي ، فلما وصلت إلى مشارف الطائف اشتبكت مع القوات الحجازية فهزمتها ، فأرسل حسين قوة عسكرية بقيادة ابنه علي لانقاذ المدافعين عن الطائف ، فوصل إليها في ٦ صفر ، ثم خرج منها ليعسكر في الهدى على بعد أربع ساعات من الطائف .

وفي السابع من صفر خرج الجيش من الطائف ودخل الاخوان كالسيل الجارف ، وهناك حدثت مجزرة الطائف التي قتل فيها عدد كبير من وجهاء مكة في مصايفهم ، ونهبت ممتلكاتهم ، كما قتل عدد من رجال الدين في الحجاز ، وذبحت العديد من النسوة والأطفال والأبرياء ..

فبعد دخولهم مباشرة .. (طفقوا يطلقون بنادقهم في الأسواق ، وهم يطوفون المدينة ، فقتلوا عدداً من الأبرياء الذين لم يسارعوا إلى بيوتهم مستأمنين .. وكان قد تخلف في المدينة جماعات من عرب الطويرق والنمور والبقوم وغيرهم .. فاختلطت هذه الجموع في ظلمات الليل ، وكانت ساعة الهول والفجع ، راح العربان والاخوان يطرقون الأبواب ويكسرونها فيدخلون البيوت ثم يعملون فيها أيدي السلب ، وكانوا يقتلون في سبيل السلب ..

وقتل مفتي الشافعية الشيخ الزواوي وأبناء الشيبي .. أما الشيخ عبد القادر الشيبي سادن الكعبة ، فقد نجا من الاخوان بحيلة ظريفة .. بكى عندما وقع في أيديهم ، فسأله أحدهم وقد استل السيف فوق رأسه .. « وليش تبتسي يا تسافر ؟ »"١٠٩" ..

فأجابه الشيخ .. « أبكي والله من شدة الفرح ، أبكي يا إخوان لأني قضيت حياتي كلها في الشرك والكفر ، ولم يشأ الله أن أموت إلا مؤمناً موحداً .. الله أكبر ! لا إله إلا الله » .. وقد أثر هذا الكلام في الاخوان ، فبكوا لبكاء الشيخ ، ثم طفقوا يقبلونه و يهنئونه بالاسلام"١١٠" .

وفي اليوم التالي أخرج الأهالي نساءاً وأطفالا وشيوخاً من المدينة ، وسيقوا إلى حديقة شبرا وحبسوا هناك ثلاثة أيام ، وكانت النساء سافرات لأول مرة مع الرجال ، ومكثوا أياماً بدون طعام أو ماء ــ كما يقر بذلك « العطار » صاحب مؤلف صقر الجزيرة ــ !!

وكان رد ابن سعود على المذبحة كما يقول هو « وصلني وأنا في الرياض خبر المذبحة في الطائف فبكيت حتى تبللت لحيتي .. ولما قدمت مكة عزمت أولياء القتلى وأعطيت كل واحد عشرة ريالات فرنسية وصاعاً من القمح !! » .. وهذه قيمة الانسان ؟!

أما الريحاني فيقول أن عبد العزيز دفع نحو عشرة آلاف ليرة من

التعويضات ، وربما كان يقصد عشرة آلاف ريال .. وبالحساب البسيط يكون عدد القتلى ألف شخص من الأهالي الأبرياء ..

إن المجزرة كانت مخططة .. ولا يشك في أن فيلبي ـ الذي دعا ابن سعود لاحتلال الحجاز ، والذي اقترح فيما بعد دمج الحجاز بنجد باسم المملكة ، والذي أذاع ذلك عن طريق الصحافة الأجنبية ـ كان الرأس المخطط لها ، وقد وافقه ابن سعود عليها ..

لقد كان الهدف منها إشاعة البلبلة والرعب ، لتمهيد احتلال مكة سلماً ، لأن ابن سعود كان حريصاً على دخولها بالسلم حتى لا تتأثر مكانته في العالم الاسلامي ، ففضل إجراء المذبحة في الطائف بدل مكة ..

وبالفعل .. وقعت الفوضى في مكة ، فما هي إلا أياماً قلائل حتى ضغط وجهاؤها على الشريف حسين حتى يتنازل ، وكانت الحجة الأولى كما جاء في برقيتهم للشريف :

(بما أن الشعب الحجازي بأجمعه الواقع الآن في الفوضى بعد فناء الجيش المدافع ، وعجز الحكومة عن صون الأرواح والأموال ، وبما أن الحرمين الشريفين خاصة .. وعموم البلاد ، مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة ، وبما أن الحجاز بلد مقدس يعني أمره جميع المسلمين ، لذلك قررت الأمة نهائياً طلب تنازل الشريف حسين وتنصيب ابنه الأمير علي ...الخ) وقد وقع هذه البرقية مائة وأربعون من الأعيان والعلماء والتجار الحجازيين «١١١» ..

ولما رفض الشريف تعيين ابنه .. مع ارتياحه لتنازله الشخصي ، اتصل أحد الأعيان « طاهر الدباغ » هاتفياً به وقال : « مولاي ، بناء على المركز الحرج الذي وصلت إليه البلاد ، قررت الأمة طلب تنازل جلالتكم لسمو الأمير علي » .. ولما اعترض الشريف على أن يكون خليفته ابنه لأنه وابنه شخص واحد ، فاذا كان هو صالحاً .. فابنه صالح ، وإذا كان فاسداً فهو فاسد ، أجابه الدباغ بالقول « نريد أن نسلك سياسة غير السياسة التي سرتم

عـلـيـها ، عسى أن نتمكن من تخليص البلاد من مأزقها الحرج » .. ورفض حسين من جديد ، فبعثوا برقية بدأت بالقول .. « الحالة حرجة جداً ، وليس الوقت وقت مفاوضات .. وإذا تأخرتم عن إجابة هذا الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم » !!

ورد الشريف .. « لا بأس .. قبلنا التنازل بكل ارتياح ، إذ ليس لنا رغبة إلا سكينة البلاد وراحتها وسعادتها ـــ حسين ، مكة ، ٤ ربيع الأول » ، وفي اليوم التالي بعث ببرقية إلى جدة وأعيانها : « إن الفوضى التي ذكرتموها وقعت بداعي إشهاركم رغبة تنازلي ، وإني لا أقبل أية مسئولية تقع إذا لم تسرعوا اليوم في تعيين من يتولى الأمر ، لأتوجه في الحال إلى الجهة التي يختارها الباري عن طريق جدة ، وهذا ليس هرباً من أي شيء تتصورنه .. بل دفعاً للظنون والشبهات » «١١٢» ..

وعاد ابنه من جدة إلى مكة ليتسلم زمام الأمور ، بينما تركها والده ليقيم في جدة ستة أيام بعث بعدها في ١٥ ربيع الأول ١٣٤٣هـ ، بلاغاً للحكومة يعترض فيها على « إنشاء حكومة دستورية لا سيما في الحرمين الشرفين ، لأن العمل بها ينبذ أحكام كتاب الله وسنة رسوله ، إن العمل في البلاد المقدسة بالقوانين البشرية لمما تأباه شعائر الاسلام ، وفرائض الدين ، والأخلاق الشريفة مادة ومعنى » .. وفي ليلة الخامس عشر غادر البلاد على يخت له ، إلى إمارة الأردن التي سلمها الانجليز لابنه عبد الله ، لكنهم ما لبثوا أن ضغطوا عليه وأخذوه على متن بارجة حربية إلى قبرص ليقضي فيها بقية أيامه الأخيرة ..

والمهم هنا ، قبل الانتقال إلى الحوادث الأخرى ، هو أن الحسين قبل تنازله عن الحكم ، حاول أن يرضي الانجليز لعلمه أنهم سبب كل المصائب ، وأن مواقفه من فلسطين ووعد بلفور ، جرّت عليه مصائبهم مما استدعاهم إلى تجريد كلب الحراسة ابن سعود .

بعث الشريف وفداً إلى دار الوكالة البريطانية بجدة ، يعرض تعديل مطالب الحسين المتعلقة بالانتداب وفلسطين على الوكيل ، فلم يبد تجاوباً لأن عقارب الساعة لن تعود إلى الوراء .. عاد الوفد وقال للشريف .. « سبق السيف العذل » ..

وقبل إبحاره .. « حاول أن يضرب بسهم أخير ، فيسترضي الانجليز وينزل عند ما كانوا قد طالبوه به من إقرار للتجزئة والانتداب ، ووعد بلفور لليهود ، غير أن الانجليز ادّعوا أنهم يقفون على الحياد » «١١٣» ..

ولا يشك مطلقاً أن تنازله هذا ، ماهو إلا مناورة .. مناورة فاشلة .. فخلفية الشريف حسين الدينية ــ رغم كل الاستفهامات على ممارساته السياسية ــ ما كانت لتسمح له بالتنازل للانجليز بشأن وعد بلفور ، هكذا وبسهولة ..

العالم الاسلامي .. ومصير الحجاز:

بعد مبايعته بالملك ، سعى الشريف علي « ملك الحجاز » لدى الحكومة البريطانية للتدخل ، مقابل قبوله بالمعاهدة المهينة المشروطة التي عرضت على أبيه والتي وافق عليها قبل رحيله ، فأعادت الحكومة البريطانية تأكيدها أنها على الحياد .. بمعنى أن ابن سعود لابد وأن يأخذ الحجاز ضمن اتفاقهم المسبق الذي يتضمن موافقته على إعطاء فلسطين لليهود ، واتخاذ مواقف مضادة لكل الأصوات العربية المطالبة بالتخلص من ربقة الاحتلال الأجنبي .

ونظراً لحراجة موقف الملك علي ، بعث ببرقية إلى ابن سعود عن طريق البحرين ، جاء فيها :

(إن أقصى رغبتي أن يسود السلام في الجزيرة ، وأن تعود السكينة ما

بين نـجد والحجاز ، وإني باسط لك رأيي في السلم ، ومقترح عليك عقد مؤتمر للرجـوع إلى إتمـام المفاوضات التي بدأت في مؤتمر الكو يت ، ولازالة بواعث الخلاف) ..

ورد عـليـه ابـن سـعـود بـكلام عجيب ، فقد رفض العرض للصلح وندد بـتـوارث الملك في الحجاز لأن الحجاز للعالم الاسلامي ، وأن لا ميزة لطائفة مـن المسلمين دون أخـرى .. « إن شروطي الأخيرة هي أن لا صلح بيننا مادام أبناء أبيكم يتوارثون الملك في الحجاز .. وأنتم تعلمون أن الحجاز للعالم الاسلامي ، فلا ميزة لطائفة من المسلمين على طائفة أخرى » «١١٤» ..

لقد تحرك ابن سعود ــ بصفته ممثلا لارادة العالم الاسلامي ــ وأنه ير يد أن يـسلم الحجاز للمسلمين ، ليختاروا الممثل أو الحاكم الذين ير يدون ، في مؤتمر يـعـقد في مكة يضم كل الشخصيات الاسلامية لتقرر مصير الحجاز .. لـكـن مـا إن سيطر على جدة حتى ضرب بعرض الحائط كل الوعود ، وحول الحجاز إلى مملكة يملكها هو ، و يتوارثها أبناؤه ..

وصل الاخوان في ١٥ ر بيع الأ ول إلى قر ية « الزليمة » التي تبعد ست سـاعات عن مكة لمحاصرتها ، فانسحب منها الشر يف علي إلى جدة ودخلها في السـابـع عشر من الشهر ذاته ، وهو اليوم الذي وصلت فيه طلائع الاخوان بـلـبـاس الاحـرام لتحتل مكة ، التي انسحب عنها الجيش المدافع .. وانتظر الاخوان أوامر الزحف على جدة ..

في هـذه الأ ثـنـاء استعد ابن سعود في الخامس من أكتوبر ١٩٢٤م ــ ٧ ر بـيـع الـثـاني ، فألقى خطاباً قبل المغادرة جاء فيه .. « إن مكة للمسلمين كـافـة ، وسـنجتمع هناك بوفود العالم الاسلامي ، ونتبادل وإياهم الرأي في الـوسـائـل الـتـي تجـعـل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية » .. ووصل سـلـطـان نـجـد إلى مـكـة مـسـاء السابع من جمادى الأ ولى الموافق للرابع من ديسمبر ١٩٢٤م ..

لقد كسب ابن سعود رأي العالم الاسلامي في احتلاله للحجاز ، لأنه طرح فكرة « مؤتمر إسلامي » يقرر مصير الحجاز ، التي كما يقول « كشك » خلبت لب المسلمين ، وأطلقت طموحات الحاكمين ، وأسكرت لجنة الخلافة الهندية .. وكسب مصر بتكليفها بالدعوة لهذا المؤتمر ، وأبرق للعلماء والمؤسسات الاسلامية في كثيرمن أنحاء العالم الاسلامي ليرسلوا وفودهم لحضور المؤتمر وتقرير شكل الحكومة الحجازية !

ومرة أخرى بعث الشريف علي برقية من جدة المحاصرة ، يدعو ابن سعود للسلام ، فكرر ردّه بالقول .. « تعلمون أن الحرمين الشريفين ليس ملكاً لأحد ، ولكن الأشراف ــ وعلى الأخص والدكم ــ قد اعتبر الحجاز ملكاً خاصاً ، ولقد عانى المسلمون جميعاً الأمرين من سوء معاملته . نحن لا نريد سوى تحرير الحجاز للمسلمين .. » ..

ولما حاول أمين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الأعلى بالقدس التوسط ، ردّ عليه عبد العزيز بأن الوساطة متأخرة ، وأنه يرغب في وجود إدارة في الحجاز تكفل حقوق جميع المسلمين بوجه المساواة ..

لماذا المؤتمر الاسلامي :

يعتبر « كشك » فكرة « المؤتمر الاسلامي » من سلبيات قرار حصار جدة وأن اقتراحه لعب دوراً حاسماً في تجميع الرأي العام الاسلامي حول عبد العزيز .. وأنه كان وسيلة أفادت في تبرير رفض الوساطات ، إذ رد عبد العزيز على الوسطاء بأن الأمر لم يعد في يده ، فهو مجرد وكيل عن المسلمين لطرد الهاشميين ليقرروا مصير الحجاز بحرية ، فهو « قد أعطى عهداً للعالم الاسلامي بأن تكون الحجاز ومكة للمسلمين عامة » «١١٥» ..

كانت الوساطات التي جرّدها الشريف علي لدى ابن سعود ثقيلة ..

(فقد طلبت مصر التوسط وأرسلت وفداً كبير الشأن يضم رئيس المحكمة العليا محمد مصطفى المراغي ، وسكرتير الملك فؤاد ، مع خطاب من الملك يعرض وساطة الوفد للصلح ، لكن ابن سعود كان قد اكتشف الحل الذي أطلق آمال المسلمين ، وكسب إلى صفه الوسطاء .. ألا وهو « المؤتمر الاسلامي » .. الذي خلب لب الشيخ المراغي ، أما سكرتير الملك فؤاد ، فقد أسعده ما خص به السعوديون مليكه من تكريم ، فانصرف الوفد شاكراً ، وتخلى عن الوساطة ، بل أصبحوا يتعجلون زوال الملك علي !) «١١٦»

وهنا ننقل بعض المقتطفات مما قاله « كشك » حول المؤتمر :

(أدرك عبد العزيز الأثر الذي يمكن أن تحدثه فكرة المؤتمر في العالم الاسلامي الذي كان بعد سقوط الخلافة أشبه باليتيم الذي فقد أباً وهمياً .. وها هي دعوة لأول « مؤتمر إسلامي عالمي » يبحث ضمن ما يبحث مستقبل الحجاز .. ملكت الفكرة قلوب الهنود والجاويين ، وأشجت السرايا المصرية ، والبلاط الايراني ، ولم تحرك عرقاً في جماهير أي بلد عربي ! — ص ٥٢٥ — .

وقد التزم عبد العزيز في أكثر من برقية وخطاب ، بفكرة تدويل الحجاز .. ففي رده على برقية الحزب الوطني الحجازي الذي خلع الشريف حسين قال .. « لا نطمع في امتلاك الحجاز أو التسلط عليه ، ولهذا فهو يترك للعالم الاسلامي .. وإذا خرج الحسين وأبناؤه فأنتم آمنون في بلادكم »

وفي منشوره بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٤٣هـ — سبتمبر ١٩٢٤ قال .. « وأن يكون أمر هذين الحرمين الشريفين شورى بين المسلمين » .. وألقى « وهبة » الذي ولاه ابن سعود مكة ، كلمة كلفه السلطان بالقائها في اجتماع العلماء في مكة في يوم السبت ٩ جمادى الاولى ١٣٤٣ قال فيها .. « إن عبد العزيز يريد أن يرجع هذه البلاد إلى عهد الشورى الذي نشأ فيها ، وهو لا يريد أن يستبد بكم ، وأن الامام عبد العزيز كما ستسمعون

منه ، لا يريد أن يكون هذا البيت ملكاً لأحد ، بل مشاعاً بين المسلمين ولكل شعب من الشعوب الاسلامية ولكل فرد من أفراد العالم الاسلامي حق فيه » ..

أما الهنود .. فقد أبرق شوكت علي باسم جمعية الخلافة إلى الحزب الوطني الحجازي في ١٠ ربيع الأول ١٣٤٣ « إن مسلمي الهند لا يقبلون بأي وجه من الوجوه تولية الحسين أو أحد أولاده ، ولا يرضون إلا بتأسيس حكومة ديمقراطية يشترك فيها جميع المسلمين » .. ــ ص ٥٢٦ ــ .

ومن هنا ترك عبد العزيز مستشاره ــ وهبة ــ يتبسط في إعطاء الوعود .. « إجراء استفتاء عام لاختيار حاكم للحجاز تحت إشراف مندوبي العالم الاسلامي .. استقلال الحجاز داخلياً وحياده .. لا تعقد حكومة الحجاز اتفاقات اقتصادية مع دول غير إسلامية .. تحديد حدود الحجاز ووضع النظم المالية والاقتصادية والادارية موكول لمندوبي الممالك والشعوب الاسلامية » .. وأصدر السلطان منشوراً جديداً في ٢٤ ديسمبر ١٩٢٥ ، بعد سقوط المدينة المنورة يؤكد فيه أن « مستقبل البلاد لا بد لتقريره من مؤتمر يشترك المسلمون فيه جميعاً لينظروا مستقبل الحجاز ومصالحه » .. ولكن بعد أسبوعين ليس إلا ــ كما يسجل وهبة ــ أعلن السلطان في ٢٢ جمادي الآخرة ١٣٤٤هـ ــ ٧ يناير ١٩٢٦م ، عدوله عن المؤتمر « لأن دعوته لم تجد استجابة ، ولا كلف أحد خاطره بالرد عليه ، ولذا فقد بايع أهل الحجاز السلطان عبدالعزيز ملكاً على الحجاز ، فأصبح لقب جلالته .. ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها » .. ــ ص ٥٢٨

والحجة القائلة بأن المسلمين لم يتجاوبوا ، حجة هشة ، فلا شك أن الوفود ما كان لها أن تتشكل .. ولا حتى الدعوة ما كانت لتناقش جدياً قبل معرفة مصير الحجاز .. أي دخول جدة ، إلا إذا كان الملك يريد مؤتمر مصالحة ، وهو ما رفضه بالاصرار على طرد الأشراف من الحجاز . ومنذ

دخوله جدة إلى إلغاء المؤتمر والمبايعة ، لم يمر أكثر من أسبوعين ، ومهما قيل عن « حمية » العالم الاسلامي .. وسرعة اتخاذ القرارات فيه .. وكفاءة التنفيذ والاتصال ، فهي ليست مدة كافية ..

واستيقظ المسلمون وانفجر غضبهم واحتجوا .. وخاصة الهنود ـــ قبل انفصال الباكستان عن الهند ـــ الذين كان حجمهم الصوتي قد زاد كثيراً بعد سقوط الخلافة وابتعاد الأتراك عن العالم الاسلامي ، كذلك غضب الملك فؤاد لأنه استخدم من قبل السعوديين الذين استغفلوه هو ووفده ، إذ جعلوه داعياً لحفل وهمي ألغي قبل إعداد بطاقات الدعوة .

وقد انعكس إحساس الملك فؤاد بالاستغفال على حافظ وهبة « الذي كان في مصر يعد للمؤتمر » فكتب لمليكه خطاباً ورد فيه .. « أفيدكم بأن ـــ رويتر ـــ اليوم نشرت تلغرافاً بأنكم ناديتم بأنفسكم ملكاً على الحجاز ، فان كان هذا الأمر صحيحاً .. فقد غشكم من أشار عليكم بذلك ، لأن هذه المسألة أثارت الرأي العام في الخارج ضدكم .. هذا من جهة ، ومن الأخرى أنه لا ينطبق مع العهود التي قطعتموها على أنفسكم أمام العالم الاسلامي وملوك المسلمين في تشكيل حكومة الحجاز ، ولوتريثتم لحين انعقاد المؤتمر الاسلامي وتقرير مصير البلاد لكان خيراً وأبقى » ..) ـــ ص ٥٢٩ ـــ .

هنا نصل إلى نتيجة واحدة هي أن ابن سعود لا يهمه العهود والوعود .. ولا المؤتمرات ، بل همه امتلاك الحجاز ، وقد كان « كشك » صريحاً وواضحاً في قوله :

(إنه ـــ أي ابن سعود ـــ لم يكن يؤمن بفكرة المؤتمر ، ولا ينوي العمل بها أبداً ، ولكنه كان في حرب ، والحرب خدعة .. أو كل شيء يجوز فيها ، كما قال للريحاني مرة) .. وهو تبرير سخيف لا ينم إلا عن شخصية مريضة لا تحترم نفسها ووعودها ، ولا تقيم وزناً للدين والعقيدة ..

ويذكر وهبة : (إن الملك ظل يرفض فكرة المؤتمر الاسلامي ، ولكن تحت إلحاح الكتب والتلغرافات من الهند وغيرها من الممالك الاسلامية بطلب عقد المؤتمر ، قبل عقده في مكة على شرط ألا يتعرض المؤتمر لمسألة الحكم في الحجاز) .. وهكذا جرده من مهمته الأساسية .. وأعطى المؤتمرين حرية « بحث إصلاح عين زبيدة ، ومحاورة ابن بجاد في تفسير الفاتحة ! » .. كما يذكر « كشك » ساخراً ..

والأكثر من هذا ، رفض ابن سعود أن يبحث المؤتمر أوضاع الممالك الاسلامية الواقعة تحت الاحتلال الأجنبي ، الفرنسي والايطالي والبريطاني ، وهذا ما يؤكد أن ابن سعود أعطاه المستعمرون الضوء الأخضر لاحتلال الحجاز .. مقابل قبوله بالوضع الاستعماري ومساعدته لهم على ديمومته «١١٧» ..

لقد اتفق رشيد رضا ، والشيخ عبد الله بلهيد رئيس القضاة السعودي ـ أي أعلى منصب ديني تقريباً ـ وانضم إليهما الحاج أمين الحسيني ، مع وفد جمعية الخلافة ، على القسم تحت أستار الكعبة على « تحرير جزيرة العرب من نفوذ الأجانب » .. وقالوا للملك .. « إنهم يعتقدون أنه سيكون لهذا الأمر تأثير عظيم في الرأي العام الاسلامي .. وقالوا أنهم سيقسمون على تحرير فلسطين ، وسوريا ، والعراق ، وسواحل الجزيرة التي للأجانب نفوذ فيها » .. ورغم أن الملك ليس له حاجة بهذا القسم ، ولم يكن مجبوراً على أدائه ، إلا أنه أراد إفشاله فكلف وهبة ـ مستشاره الذي كان جالساً ـ للرد عليهم ، فاقترح عليهم الأخير الحصول على رأي وفد مصر واليمن وتركيا وأفغانستان ، ليوافقوا عليه أولاً .. ولكن أحداً من وفود هذه الدول لم يقبله ، كما هو عبد العزيز ، الذي تخلص منهم بأسلوب بسيط خوفاً من الغضب البريطاني عليه «١١٨» ..

وهكذا آل الحجاز للسيطرة السعودية ، وابتدأت مرحلة جديدة من حكم

آل سعود ، ابتعد فيها الدين عن السياسة كثيراً ، وهي المرحلة التي تم فيها القضاء على الاخوان ، بعد أن عرفوا أن ابن السعود ما هو إلا ملك مستبد .. صعد على أكتافهم للحكم ، وأنه لا يعدو كونه طالب سلطة حصل عليها باسم الدين .. ثم أبعد الدين عنه ودمر المتدينين ..

الهوامش :

« ١ » ــ الزركلي ــ شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ــ ص ٤٧

« ٢ » ــ يشير المؤلف بطرف خفي إلي أن زواج ابن سعود المتكرر من نساء القبائل كان له دور في سيطرته عليها .

« ٣ » ــ الترتيب مهم هنا ، فعبد العزيز كان في البداية طالب ملك ، ثم حمل الرسالة لتدعيمه ، ثم أسس الدولة وانتهت الرسالة ..

« ٤ » ــ كشك ــ السعوديون والحل الاسلامي ــ ص ٦١ ، وانظر كتاب « شيم الملك عبد العزيز » لفهد المارق ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ..

« ٥ » ــ « تاريخ الكويت » لعبد العزيز الرشيد ــ طبعة عام ١٩٧١ ــ ص ٢٢٠

« ٦ » ــ كشك ــ المصدر السابق ــ ص ٢٦٧

٧ ــ توحيد المملكة العربية السعودية ــ محمد المانع ــ الطبعة الاولى ١٤٠٤هـ ــ ص ٣٨

« ٨ » ــ أي أخذت الحكم بالقوة ودون عونكم ورغبتكم فلا فضل لكم ..

« ٩ » ــ كشك ــ المصدر السابق ، ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥

« ١٠ » ــ وهذا منطق العصبية والقبلية الذي لا يقره الدين .

« ١١ » ــ « البلاد العربية السعودية » لفؤاد حمزة ــ الطبعة الثانية ١٩٦٨م ــ ص ٢٢

« ١٢ » ــ كشك ــ المصدر السابق ص ٢٧٨

« ١٣ » ــ أي أن الحرص على المال أو الشرف أفسد للدين بأكثر من إفساد الذئاب في الغنم .

« ١٤ » ــ « السياسة الشرعية » ــ الشيخ ابن تيمية ــ ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ .

« ١٥ » ــ كشك ــ المصدر السابق ــ ص ٢٨٢

« ١٦ » ـ المصدر السابق ــ ص ٢٨٢

« ١٧ » ــ يقصد فيلبي من هذا الصدق والاخلاص .. الالتزام الشكلي

« ١٨ » ــ « تاريخ الأحساء السياسي » د. محمد عرابي نخلة ــ ص ٢٢٨ ــ ٢٢٩ ، وانظر، تاريخ الكويت ــ ص ١٧٩ ، ١٨٠

« ١٩ » ــ محمد عرابي نخلة ــ المصدر السابق ــ ص ٢٣٠ ــ ٢٣١

« ٢٠ » ــ كشك ــ المصدر السابق ــ ص ٣٧٢

« ٢١ » المانع ــ المصدر السابق ــ ص ٥٨

« ٢٢ » ــ المانع ـ المصدر السابق ـ ص ٦١ الى ٦٣

« ٢٣ » ــ من بينهم الشيخ عبد اللطيف الملاّ ، والشيخ موسى أبو خمسين ، وسيد سلمان المحسن ، وسيد عبد الله البراهيم ،وسيد علي الصالح ، وآخرون من عوائل الملحم والحملي والمبارك .

« ٢٤ » ــ « السياسة الخارجية السعودية » ــ الطبعة الأولى ١٩٨٠ ــ الدكتور غسان سلامة ــ ص ٤٣

« ٢٥ » ـ صلاح الدين المختار ـ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ـ الجزء الثاني ـ ص ١٤٤

« ٢٦ » ـ المانع ـ المصدر السابق ـ ص ٧١

« ٢٧ » ـ بمعنى أنها لم تنتشر

« ٢٨ » ـ الخليج العربي .. دراسة لتاريخ الامارات العربية ـ طبعة أولى ـ ص ٨٩

« ٢٩ » ـ المصدر السابق ـ ص ٩٠

« ٣٠ » ـ بل هي التي أدخلته التاريخ من أوسع أبوابه ..

« ٣١ » ـ كشك ـ المصدر السابق ـ ص ٥٥٧

« ٣٢ » ـ كشك ـ المصدر السابق ـ ص ٥٥٨

« ٣٣ » ـ حافظ وهبة ـ جزيرة العرب في القرن العشرين

« ٣٤ » ـ كشك ـ المصدر السابق ـ ص ٢١٦

« ٣٥ » ـ واعتمادهم في الدرجة الثانية على الدين .

« ٣٦ » ـ لأن قبيلتهم صغيرة جداً .

« ٣٧ » ـ أي غير الاخوان

« ٣٨ » ـ جمال زكريا ـ المصدر السابق ـ ص ٩٠/٩١

« ٣٩ » ـ المانع ص ٢٩

« ٤٠ » ـ المانع ـ المصدر السابق ص ٧١

« ٤١ » ــ المصدر السابق ، ص ١١٢

« ٤٢ » ــ ملوك العرب ، الجزء الثاني ــ ص ٥٧٢

« ٤٣ » ــ غسان سلامة ــ المصدر السابق ــ ص ٣١

« ٤٤ » ــ المصدر السابق ــ ص ٣٣

« ٤٥ » ــ المصدر السابق ــ ص ٤٣ ، ٤٤

« ٤٦ » ــ جمال قاسم ــ المصدر السابق ــ ص ٥٨

« ٤٧ » ــ ديكسون ــ المصدر السابق ــ ص ٢٥٤

« ٤٨ » ــ المانع ــ المصدر السابق ــ ص ٢٨

« ٤٩ » ــ كشك ــ المصدر السابق ــ ص ٤٩٣

« ٥٠ » ــ الكويت وجاراتها ــ ديكسون

« ٥١ » ــ الطريق إلى مكة ــ محمد أسد

« ٥٢ » ــ الريحاني ــ نجد وملحقاته ــ ص ٢٦١

« ٥٣ » ــ الكويت وجاراتها ــ ديكسون .

« ٥٤ » ــ المانع ــ المصدر السابق ــ ص ١٢٤

« ٥٥ » ــ جاءوا بالمقص رغم أنفه ..

« ٥٦ » ــ كشك ــ المصدر السابق ــ ص ٧٩

« ٥٧ » ــ حافظ وهبة ــ جزيرة العرب في القرن العشرين

« ٥٨ » ــ الشيوخ لقب عبد العزيز قبل أن يسمى بالملك

« ٥٩ » ــ والمشركون هم كل من يختلفون مع الوهابية قليلا أو كثيراً

« ٦٠ » ــ الريحاني ــ ملوك العرب ــ ص ٥٨٨ ، ٥٨٩

« ٦١ » ــ المانع ــ المصدر السابق ــ ص ١٢٤

« ٦٢ » ــ أحد سائقي الملك ، لأن أحداً حينها لم يكن يملك سيارة .

« ٦٣ » ــ المصدر السابق ــ ص ١٢٥

« ٦٤ » ــ المصدر السابق ــ ص ١١٦

« ٦٥ » ــ حافظ وهبة ــ جزيرة العرب في القرن العشرين

« ٦٦ » ــ شركة الزيت الأميركية « أرامكو »

« ٦٧ » ــ المانع ــ المصدر السابق ص ١٩٤

« ٦٨ » ــ كشك ــ المصدر السابق ، ص ٧٠١

« ٦٩ » ــ ملوك العرب ــ المصدر السابق ــ ص ٥٧٦

« ٧٠ » ــ الريحاني ــ المصدر السابق ، ص ٥٧١

« ٧١ » ــ تاريخ نجد ــ فلبيي .

« ٧٢ » ــ كشك ــ المصدر السابق ــ ص ٢٥٥

« ٧٣ » ــ المانع ــ المصدر السابق ــ ص ١١٣

« ٧٤ » ــ منذ احتواء الاخوان وتسميتهم له بالامام ، كانوا يدفعون له الخمس ..

« ٧٥ » ــ جز يرة العرب في القرن العشر ين ــ حافظ وهبة .

« ٧٦ » ــ الجملة الأخيرة هي بيت القصيد ..

« ٧٧ » ــ جمال قاسم ــ المصدر السابق ــ ص ٨٣

« ٧٨ » ــ جمال قاسم ــ المصدر السابق ــ ص ٢٠ ، ٢١

« ٧٩ » ــ المانع ــ المصدر السابق ــ ص ٧٣

« ٨٠ » ــ كشك ــ المصدر السابق ، ص ٤٢٩

« ٨١ » ــ من المشكوك فيه أنه لم يزر مكة في عهد ابن سعود ، ولكنه زارها أيام الشر يف حسين

« ٨٢ » ــ وهو مبلغ ضخم حقاً ، على الأقل في ذلك الحين

« ٨٣ » ــ طوال فترة إقامة فلبيي كانت استشارته بالمجان ، و بدون إسلامه لن يخسر الملك الاستشارة ، لكنه بحاجة إلى تبر ير إرتباطه بفيلبى للرأي العام

« ٨٤ » ــ المانع ــ المصدر السابق ، ص ٢٧٣ ــ ٢٧٤ ــ ٢٧٥ ــ ٢٧٦

« ٨٥ » ــ المصدر السابق ــ ص ٢٧٦ ، ٢٧٨

« ٨٦ » ــ مهمة طويلة ، ابتدأت منذ عام ١٩١٨م الى أن أخرجه الملك سعود عام ١٩٥٦ فاستقر في بيروت إلى أن مات ١٩٦٠ ..

« ٨٧ » ــ وعلى رأسهم الملك ومستشار يه بالطبع

« ٨٨ » ـ كشك ـ المصدر السابق ، ص ٥٨٥ ـ ٥٨٦ ـ ٥٨٧

« ٨٩ » ـ الريحاني لبناني الأصل ، مسيحي العقيدة ، أميركي الجنسية .. لا فرق بينه و بين فيلبي في شيء سوى أن الأصل عربي .

« ٩٠ » الريحاني ـ ملوك العرب ـ ص ٦٠٠

« ٩١ » ـ إزكرت ، لفظة فارسية معناها من لا أهل له ولا عيال ، وتطلق في نجد على من يقضي أيامه في قصر السلطان أو الأمير أو خادماً حول القصر ينتظر ر به ، والزكرت كثير الأسفار عادة وكثير الأخبار ، مرن العقل والخلق ، يحسن الخدمة ويحسن كذلك التهكم على الأخوان . (الريحاني)

« ٩٢ » ـ الريحاني ـ المصدر السابق ص ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣

« ٩٣ » ـ كشك ـ المصدر السابق ـ ص ٥٠

« ٩٤ » ـ أي الحكومة البر يطانية ، التي وحدت الزعماء العرب ضد دولة الخلافة .

« ٩٥ » ـ سوف يحارب الشر يف حسين بعد أن يخرج عن طوع الانجليز و يرفض تسليم فلسطين لليهود

« ٩٦ » ـ شروط ابن سعود لم تكن دينية ، كأن يكون ابن الرشيد كافراً فيدخل الاسلام ، ولم تكن حتى من أجل الأرض ، بل هي كلها شروط لصالح الأنجليز

« ٩٧ » ـ كشك ـ المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧

« ٩٨ » ـ جز يرة العرب في القرن العشر ين ـ حافظ وهبة

« ٩٩ » ـ أنظر كشك ـ المصدر السابق ـ ص ٥٩٠

« ١٠٠ » ـ صلاح الدين المختار ـ المصدر السابق ص ١٨٠ ـ ١٨١

« ١٠١ » ـ صلاح المختار ـ المصدر السابق ، ص ٨١

« ١٠٢ » ـ كشك ـ المصدر السابق ـ ص ٤٨٦ ، ٤٨٧

« ١٠٣ » ـ تاريخ العلاقات السعودية ـ اليمنية ـ فتوح عبد المحسن الخترش ـ الطبعة الأولى ١٩٨٣م ـ ص ٥٩ ، ٦٠

« ١٠٤ » ـ نجد وملحقاتها ـ المصدر السابق ، ص ٢٥٦

« ١٠٥ » ـ لمزيد من التفاصيل راجع ـ مملكة الحجاز ، دراسة في الأوضاع السياسية ـ طالب محمد وهيم ـ الطبعة الاولى ١٩٨٢ ـ ص ٢١٣

« ١٠٦ » ـ أعلن الشريف نفسه خليفة في ٧ / ٢ / ١٩٢٤ بعد أن تخلت تركيا عن الخلافة ، فتبرأت بريطانيا منه نهائيا .. والجدير بالذكر أنه قبل سقوط الدولة العثمانية كانت بريطانيا تحث الشريف على اعلان نفسه خليفة ، حتى يشكك بشرعية الأتراك ، كما أن برسي كوكس سأل ابن سعود عن رأيه في الخلافة ، وكان الأخير يعرف أن الانجليز يرشحون الحسين ، فأجابه : (لا ذوق لي بالخلافة ، وإني لا أرى من هو أجدر بها من الشريف حسين) كما يذكر الريحاني .. فتأمل وقارن هذا بما قاله وهبه .. لقد صدق الريحاني حين قال إن سبب سقوط حسين سياسياً هو إغضابه الانجليز .. (نجد وملحقاته ص ٣٤٢)

« ١٠٧ » ـ الخترش ـ المصدر السابق ـ ص ٦٢ .. وفيصل هنا داعية للقومية نيابة عن أبيه في قبال الخلافة الاسلامية ، وفي الستينات سيتحول بسهولة إلى داعية إسلامياً في مقابل جمال عبد الناصر القومي ، وستصبح القومية بعدئذ ضد الاسلام ، أما الآن .. فلا

« ١٠٨ » ـ الموسوعة الحديثة للمملكة العربية السعودية ـ المجلد الأول ـ حسن الفكهاني ، ص ٧٨

« ١٠٩ » ـ أي لماذا تبكي يا كافر ؟

« ١١٠ » ـ نجد وملحقاته ـ المصدر السابق ـ ص ٣٣٣

« ١١١ » ـ المصدر السابق ـ ص ٣٣٧

« ١١٢ » ـ المصدر السابق ـ ص ٣٣٩

« ١١٣ » ـ حسن الفكهاني ـ المصدر السابق ـ ص ٧٩

« ١١٤ » ـ نجد وملحقاته ـ المصدر السابق ـ ص ٣٥٢

« ١١٥ » ـ كشك ـ المصدر السابق ـ ص ٥٢٧

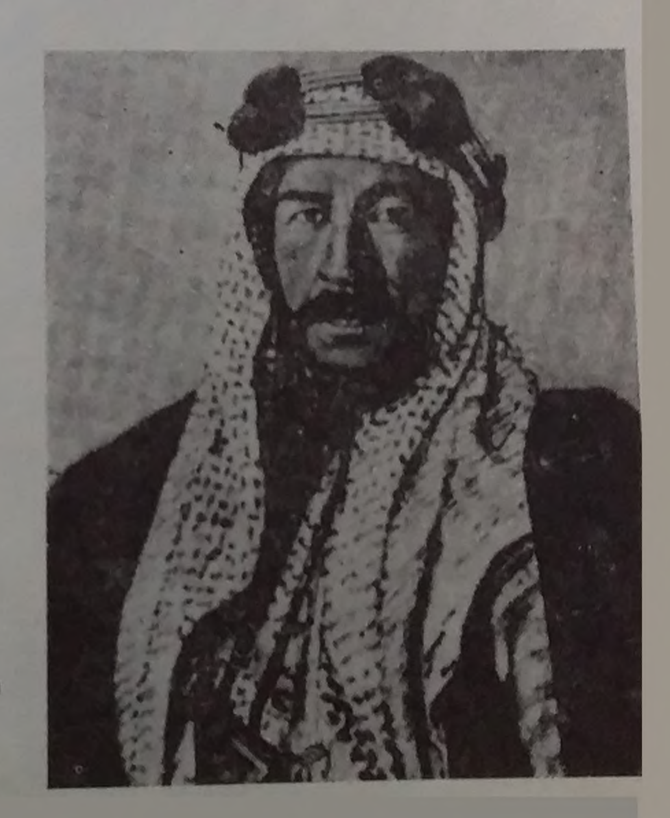
« ١١٦ » ـ المصدر السابق ـ ص ٥٢٣

« ١١٧ » ـ ولذا وقف ضد الثورات في فلسطين ١٩٣٦ وأجهضها ..

« ١١٨ » ـ كشك ـ المصدر السابق ـ ٥٣٤ ، عن حافظ وهبة ـ جزيرة العرب في القرن العشرين .



■ صورة توضح عبد العزيز ومبارك الصباح ومحمد بن عبد الرحمن .. أخو ابن سعود . التقطت الصورة في الكويت



■ مبارك الصباح ، أستاذ ووالد الملك عبد العزيز!!

■ ثلاثة من جيش الاخوان الأحياء ، لازالوا يحتفظون بهيئتهم المختلفة عن الآخرين – عسير – يوليو ١٩٧٩

■ هاري سنت جون فيلبي ، عام ١٩١٨

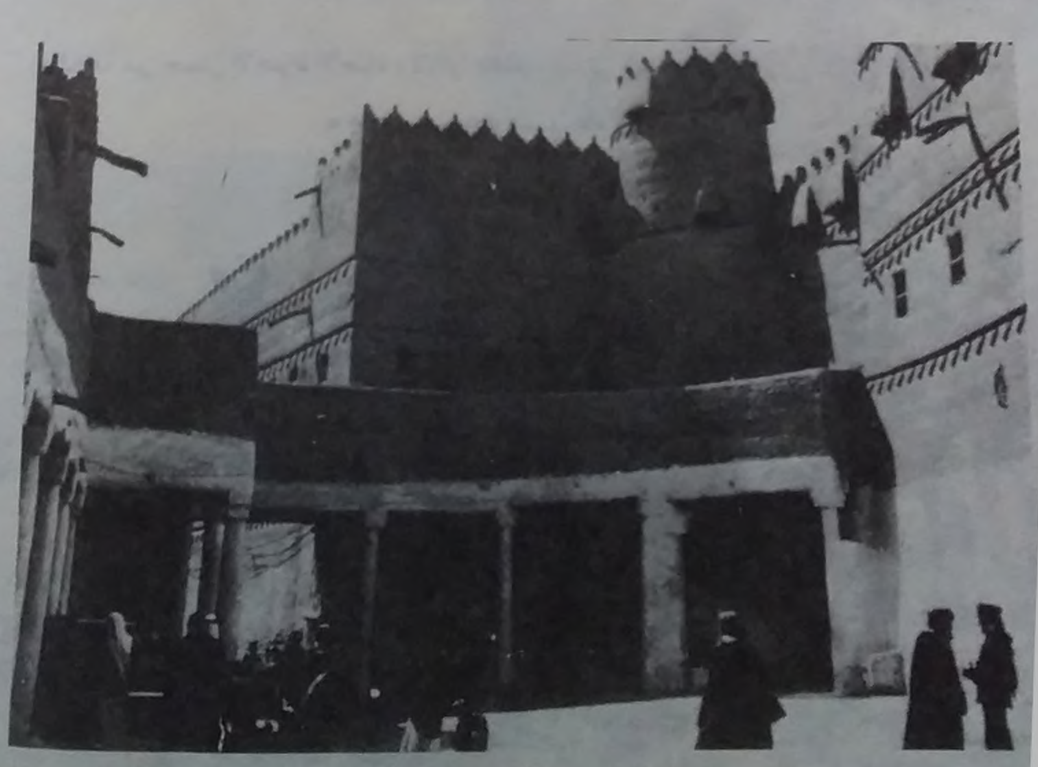




■ بوابة قصر المصمك في الرياض « قصر ابن عجلان » الذي احتله ابن سعود في صباح يناير ١٩٠٢م/١٣١٩هـ



الذي أسره الشريف وأطلق سراحه ، ثم قتل في معركة مع العجمان ..



■ قصر آل سعود في أواخر الثلاثينات

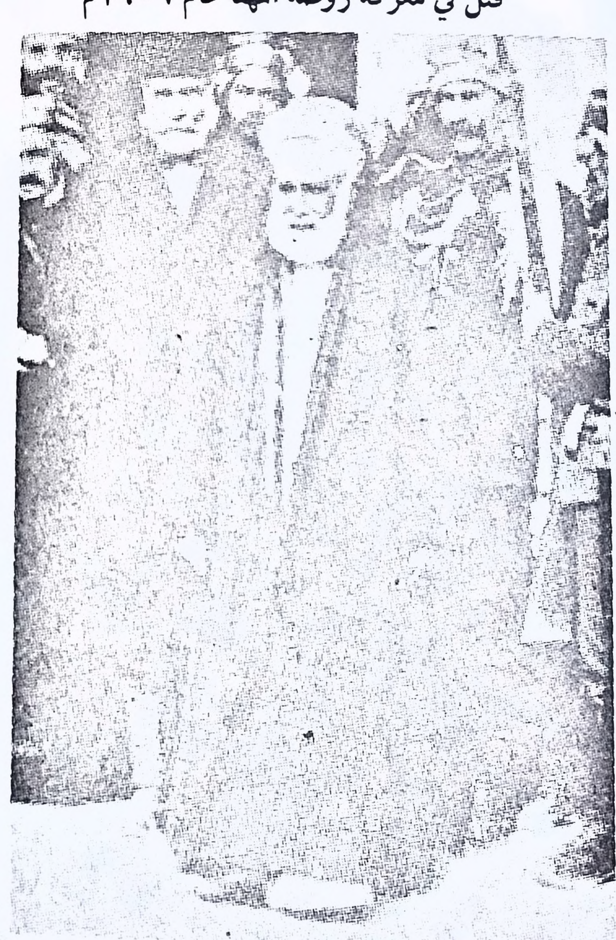




■ عبد العزيز بن متعب آل الرشيد ، الذي قتل في معركة روضة المهنا عام ١٩٠٦م



■ جزار الأحساء والقطيف ، عبد الله بن جلوي

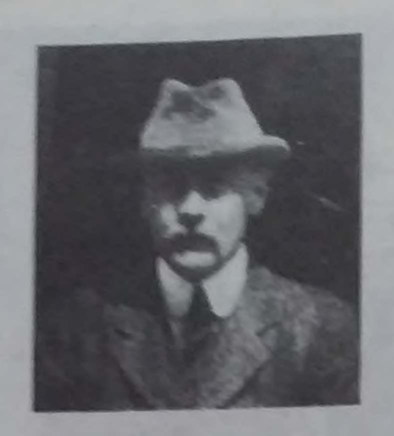


■ الشريف حسين في عمان عام ١٩٢٤ ، بعد أن أجبر على التنازل لابنه بحكم الحجاز



■ صورة للشريف حسين بن علي عام ١٩١٦م

■ جيش الاخوان ، صورة التقطها الكابتن شكسبير

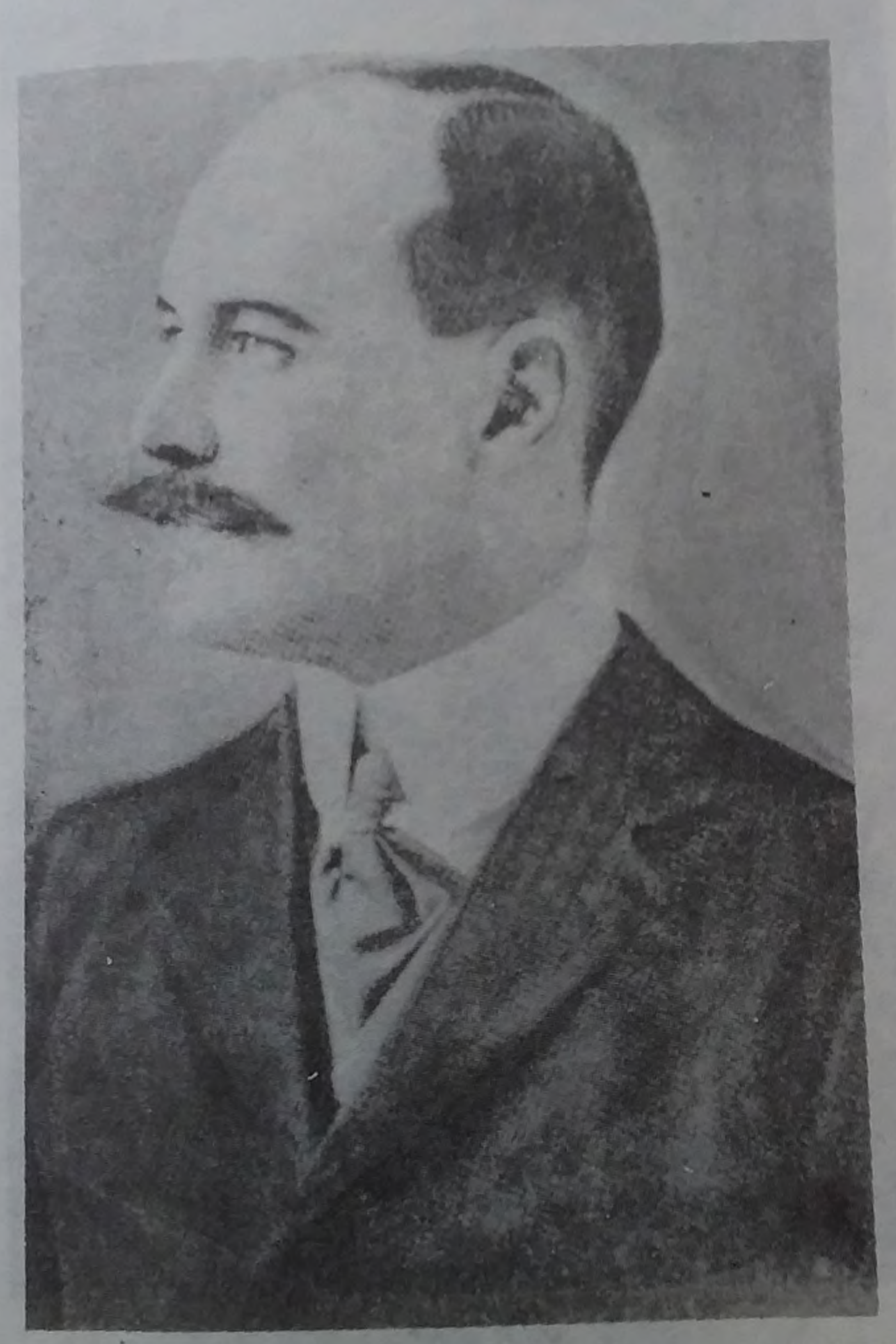




■ صورة فوتوغرافية للملك عبد العزيز، التقطها
الكابتن وليام شكسبير في الكويت في مارس ١٩١٠م



■ برسي كوكس



■ الكابتن شكسبير الذي قتل في معركة جراب ..



■ قصر المصمك .. قصر ابن عجلان

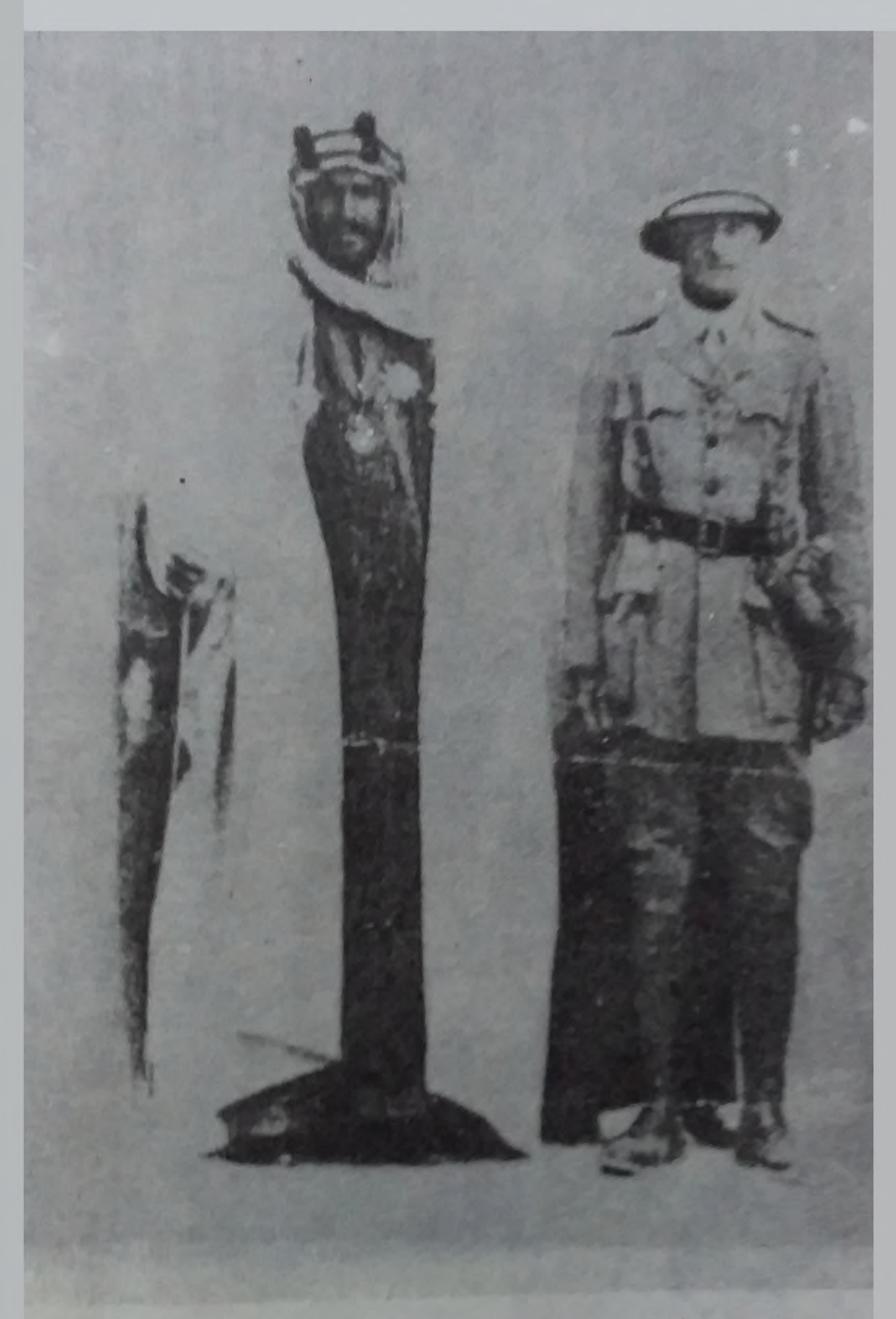


■ صورة لفيلبي .. وفي فمه الغليون

■ عبد العزيز وأمين الريحاني



■ الشيخ خزعل



■ كوكس وعبد العزيز .. لقاء السيد بخادمه



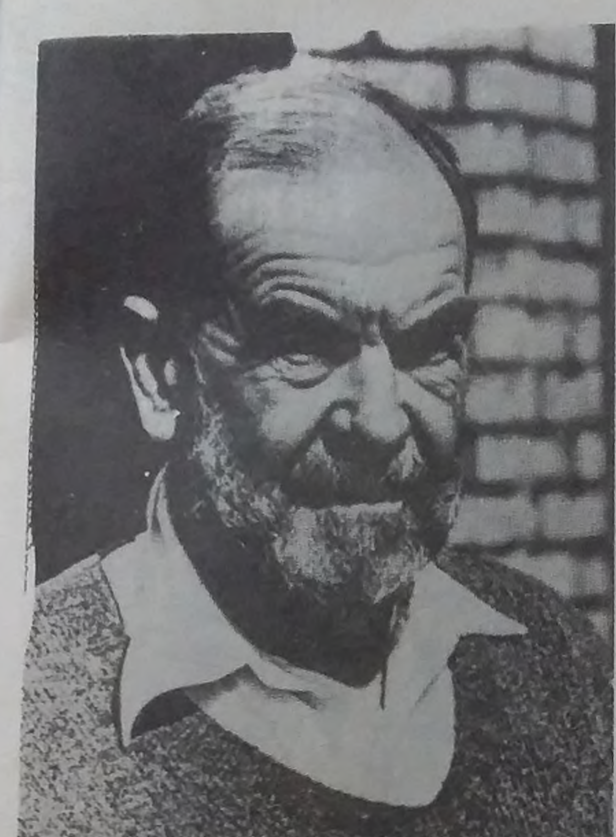
■ عبد العزيز، وقد قلد وساماً بريطانياً



■ ابن سعود في العقير ١٩٢٢

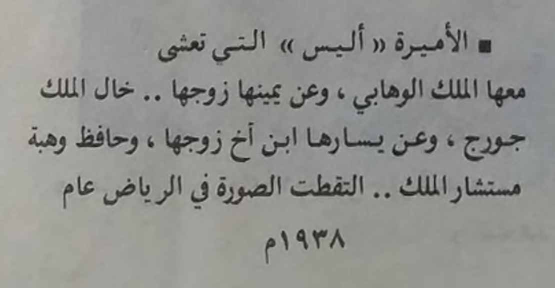


■ اجتماع فبراير ١٩٣٠م ، على ظهر السفينة الانجليزية ، في مياه الخليج ، بين ملك العراق « فيصل » والملك عبد العزيز



■ فيلبي





■ الأميرة « أليس » التي تعشى معها الملك الوهابي ، وعن يمينها زوجها .. خال الملك جورج ، وعن يسارها ابن أخ زوجها ، وحافظ وهبة مستشار الملك .. التقطت الصورة في الرياض عام ١٩٣٨م